



بناء الأخلاق

على هدي القرآن

أ.د. طه عابدين طه

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

بجامعة أم القرى ـ بمكة المكرمة



نسخة إلكترونية

للتواصل مع المؤلف

proftaha11@gmail.com


بسم الله الرحمن الرحيم





مقدمة الكتاب

الحمدُ لله الذي أنزلَ علينا كتاباً يهدي للتي هي أقوم، وهدىٰ به إلىٰ أمثلِ سبيلٍ في الأخلاقِ الفاضلةِ الكريمة، ونهىٰ به عن الأخلاقِ السيئةِ الرذيلة، والصلاةُ والسلامُ علىٰ من بلغَ في الخُلقِ الكريمِ مبلغاً عظيماً، وجعلَه ربُّه قدوةً للعالمين في كلِّ خلقٍ كريم بعد أن مدحَه بقولهِ الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وعلىٰ آلهِ الطاهرين، وصحبِهِ الصادقين، ومن تبعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين.

أولاً: أهميةُ الموضوع:

تظهرُ أهميةُ هذا الموضوعِ من عدةِ جوانب:

١- الأخلاقُ الفاضلةُ هي عنوانُ الشعوبِ، وشرفُ الفردِ، وسلّمُ الارتقاءِ بالمجتمع، وقد حثَّت عليها جميعُ الأديانِ، ونادىٰ بها المصلحون والعقلاءُ في كلِّ زمانٍ ومكان، وتغنىٰ بها الشعراءُ في قصائدهم في كلِّ عصرٍ ومصر، فهي أساسُ كلِّ حضارةٍ إنسانية، فالناسُ جميعاً يريدون التحلي بالأخلاقِ الحسنة، التي تقودُ إلىٰ الخيرِ والسعادة، ويريدون التخلي عن الأخلاقِ السيئةِ التي تؤدي إلىٰ الشرِ والشقاءِ.

٢- الإسلامُ هو أمثلُ الأديانِ في الدعوةِ إلىٰ مكارمِ الأخلاق، وهو يتمتعُ بقيمٍ أخلاقيةٍ لا مثيلَ لها في الأرضِ نحن في حاجةٍ لإبرازِها، والتخلقِ بها،

واتخاذِها وسيلةً قويةً تسهمُ في نشرِ الإسلامِ وتحبيبِهِ لشعوبِ العالم، خاصةً في ظلِّ هذه الهجمةِ الشرسةِ التي يقودُها أعداءُ الإسلامِ في هذا الوقتِ، بقصدِ إظهارِ صورٍ مروعةٍ عن المسلمين، تظهرُهم بعدمِ الرحمةِ والرفقِ والخيرِ للإنسانية؛ وأنه ليس لهم إلا القتلُ والتدمير، والمؤسف حقًا جهلُ الكثيرين من أبناءِ الأمة لهذا المخطط، وضعفُ جهودنا في إبرازِ المكارمِ الفاضلةِ التي دعا إليها ديننا العظيم.

١- الإسلامُ مع دعوتهِ الواسعةِ لمكارمِ الأخلاق، جعله كذلك من أولوياتهِ المتقدمةِ في الدعوةِ وتزكيةِ الفردِ والمجتمع، كما جاء في سؤالِ هرقلَ لأبي سفيان، وقوله: «وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ، وَالصِّدْقِ، وَالْعَفَافِ، فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ». وفي رواية قال أَبُو سُفْيَانَ: «أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ لَهُ: سَأَلْتُكَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ، وَالصِّدْقِ، وَالْعَفَافِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ قَالَ وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيٍّ» [(١)].

وكما جاء عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا أَنْ قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، وَانْجَفَلَ النَّاسُ قِبَلَهُ فَقَالُوا: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَىٰ وَجْهِهِ، فَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّلُ شيءٍ سَمِعْتُ مِنْهُ أَنْ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، في باب: كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ح رقم (٧)، ومسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: كِتَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ هِرَقْلَ يَدْعُوهُ إِلَىٰ الإِسْلَامِ ح رقم (٤٧٠٧).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ح رقم (١٨٥٥)، والحاكم في المستدرك، ح رقم (٤٢٨٣)، والبيهقي =

٢- التغييرُ الحقيقي الذي ننشدُه لإعادةِ مجدِ هذه الأمة لابد أن تكونَ الأخلاقُ الإسلاميةُ حاضرةً في كلِّ جوانبه، خاصةً في هذا العصرِ القائمِ علىٰ هدمِ القيم والأخلاقِ الفاضلة، والاتصافِ بالأخلاق البهيمية، والاهتمامِ بالجوانبِ المادية، واللهُ لا يغيُر ما بقومٍ حتىٰ يغيروا ما بأنفسِهم، ونحن نسعىٰ لتغييرٍ حقيقي يعيدُ للأمةِ مجدَها، وللمسلمين حضارتَهم لن يكون ذلك إلا في ظلِّ تصورٍ إسلامي صحيحٍ يقومُ علىٰ عقيدةٍ صحيحة، وقيمٍ أخلاقيةٍ راسخة ينبني عليهما النظامُ الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، تكون له شخصيتُه المستقلةُ في العالم.

٣- الاستقرارُ والأمنُ والنمو والازدهارُ الذي تنشدُه الحضاراتُ الإنسانية، وكثر الحديث حولَ كمالِه وجمالِه؛ لا يتحققان إلا في ظلِّ منظومةِ القيمِ الأخلاقيةِ الراقيةِ التي دعا إليها القرآنُ الكريم، وبينَّه وأكد عليه نبيه الكريم، وأي نهضةٍ حضاريةٍ ماديةٍ لا ترتكزُ علىٰ قيمٍ أخلاقيةٍ راقيةٍ فهي إلىٰ انهيارٍ مهما طالَ الزمانُ أو قصر، فبدونِ الأخلاقِ تضطربُ حياةُ الناسِ حيثُ ينعدمُ الأمنُ والثقةُ بينهم، فالأخلاقُ ضرورةٌ اجتماعية لبناءِ حياةٍ مستقرةٍ آمنة.

٤- إهمال جانبِ القيمِ الأخلاقية في بناءِ الأجيالِ الإسلامية، وعدمِ تشبعِ المناهجِ الدراسيةِ، والمحاضنِ التربويةِ، بالقدرِ الكافي في هذا الجانبِ المهم من أعظمِ ما تعانيهِ الأمةُ اليومَ، وما يبذلُ من ملياراتٍ في حلِّ المشاكلِ

= في السنن الكبرىٰ ح رقم (٤٨٣١)، وقال الترمذي: (حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ)،وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٥٦٩).

الأمنيةِ الاجتماعيةِ اليوم التي سببُها نقصُ التربيةِ الأخلاقية يمكن حلُّها بقليلٍ من المالِ إذا بذلَ في التربيةِ الأخلاقية، فلا يمكن تصورُ مجتمعٍ سليمٍ دون خلقٍ قويم، فالكلامُ فيه ليس من نافلةِ القولِ أو العمل، بل هو طريقُ سعادةٍ أو شقاوة.

٥- الأخلاقُ في هدي القرآن الكريم جديرةٌ بالبحثِ والدراسةِ في فكرتِها وجوهرِها وخصائصِها، وطرقِ تمكنها في النفوس والمجتمعات، فهي ترسمُ تصوراً مختلفاً للحياةِ عما عهدته الإنسانيةِ في مسيرتِها الطويلة، وهي قيمٌ عاليةٌ تنشدُها النفوسُ الكريمة من أهلِ الأرضِ قاطبة، وهي تتمكن في النفوس بطرقٍ مختلفة، فهي أخلاقٌ نابعةٌ من عقيدةٍ وليست المصلحةُ هي التي تصنعها، وهي عبادةٌ وقربةٌ ومرتبطةٌ بكلِّ شعيرةٍ تعبدية، وهي تصورٌ في العقلِ، وشعورٌ يحركُ النفسَ ويزنُ كلَّ معاملةٍ وتصرفٍ، وهي قيمٌ محروسةٌ بعقوباتٍ لمن تجاوزَها بما يؤدي إلىٰ إفساد صورةِ الحياةِ العامة، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣]، وهي ثوابت لا تتغيرُ بتغيرِ الزمانِ والمكانِ والأشخاص، فالأخلاقُ في التعاملِ مع الأغنياءِ والفقراءِ والضعفاءِ والكبراء واحدة، وكذا مع الحشم والخدم، في حالة الفرح والحزن، خلافاً للأخلاقِ المصطنعةِ التي تكون مع الأغنياءِ بالتزلّفِ والمديحِ، ومع الفقراءِ بالاحتقارِ والتوبيخ، والتي تبقىٰ ببقاءِ المصلحةِ وتذهبُ بذهابها.

وهي أخلاقٌ تصنعُ الكبارَ من الناسِ الذي يندرُ مثلهم ويعز، تصنعُ القلوبُ النقيةُ المجتمعة، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ [فصلت: ٣٤ - ٣٥]، والألسنُ الزكية ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣]، والأعين المتعففة ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [النور:٣٠]، والنفوسُ المتواضعةُ المتسامحة، ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان:٦٣].

ثانياً: أهدافُ الموضوع:

- معرفةُ مفهومِ الأخلاقِ ومكانتِها.
- إدراكُ مصدر الأخلاق وأقسامها.
- الوقوفُ علىٰ الوسائلِ والوسائط الأساسيةِ لبناءِ الأخلاق.
- التعرف علىٰ مجالات الأخلاق ودورِها في الارتقاءِ بالفردِ والمجتمع.
- معرفةُ الطرقِ التي بها تكتسبُ الأخلاق.
- الإلمامُ بالعقباتِ الحقيقيةِ في بناءِ الأخلاق الحسنة.
- الوقوفُ علىٰ بعضِ النماذجِ التطبيقية المشرقةِ في الرقي بالأخلاق.
- إدراك الثمرة من بناء الأخلاق للفرد والمجتمع.

ثالثاً: الحاجة للموضوع:

تظهر الحاجة لطرح هذا الموضوع من عدة جوانب، منها:

❋ الحاجة العلمية لطرح الموضوع واستحضار معانيه في العقول.

❋ الحاجة الواقعية لما نراه من تراجع عالمي عن هذا الباب في حياتنا.

❋ الحاجة التربوية لمعرفة طرق اكتسابها، والعقبات الصارفة.

❋ الحاجة التعبدية لنيل ما في هذا الباب من ثواب عظيم لمن عمل به.

❋ الحاجة الفكرية للتصدي لشُبَه الأعداء ومحاولتهم النيل من الأمة في هذا الباب.

رابعاً: أسباب اختيار العنوان: (بناء الأخلاق على هدى القرآن):

لأن القرآنَ الكريم هو أساسُ الهدىٰ، ومصدرُ الأخلاقِ والسلوك عند المسلمين، وهو الأصلُ الذي ترجعُ إليه الأمةُ لتأخذَ منه عقيدتَها، وعبادتها، ومعاملاتها، وسائر شؤون حياتها، وهو أساسُ حضارةِ المسلمين، وأصلُ علومِهم ومعارفهم، وهو الكتابُ الذي يمثلُ سرَ سعادتهم في الدارين، وهدي القرآنِ الكريم شاملٌ بلا شك بيان السنة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

خامساً: عناصر الموضوع:

القسم الأول: الجانب النظري في بناء الأخلاق:

المبحث الأول: مفهوم الأخلاق.

المبحث الثاني: مكانة ومنزلة الأخلاق.

المبحث الثالث: مصادر الأخلاق وأقسامها.

المبحث الرابع: الوسائلُ والوسائط الأساسيةُ لبناءِ الأخلاق.

المبحث الخامس: مجالات الأخلاق ودورها في الارتقاء.

القسم الثاني: الجانب التطبيقي في بناء الأخلاق:

المبحث الأول: الطرق المعينة لاكتساب الأخلاق الحسنة.

المبحث الثاني: معوقات في طريق بناء الأخلاق الحسنة.

المبحث الثالث: نماذج مشرقة في الأخلاق الحسنة.

المبحث الرابع: ثمرات بناء الأخلاق الحسنة للفرد والمجتمع.







القسم الأول

الجانب النظري في بناء الأخلاق

المبحث الأول: مفهوم الأخلاق.

المبحث الثاني: مكانة ومنزلة الأخلاق.

المبحث الثالث: مصادر الأخلاق وأقسامها.

المبحث الرابع: الوسائلُ والوسائط الأساسيةُ لبناءِ الأخلاق.

المبحث الخامس: مجالات الأخلاق ودورها في الارتقاء.





المبحث الأول

مفهوم الأخلاق

أولاً: الأخلاق في اللغة:

الأخلاق جمع خُلُق، والخُلُقُ بالضَّمِّ يطلقُ ويرادُ به [١]:

السجِيَّةُ: وهُو ما خُلِقَ عليهِ الإنسانُ من الطَّبعُ.

المُرُوءةُ: ويقصدُ بذلك الآدابُ الحسنةُ، كقولِ الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حُسنُ الخلقِ: بَذْلُ النَّدَىٰ، وكَفُّ الأذىٰ، وطلاقةُ الوجه».

وقول الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حسنُ الخلق: البَذْلَةُ، والعطيةُ، والبِشرُ الحسن».

وقول ابنُ المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ:«هو بسطُ الوجه، وبذلُ المعروف، وكفُّ الأذىٰ»، وغيرُها من أقوالٍ يعبرون بها عن الآدابِ الحسنة [٢].

الدِّينُ: فقد جاء عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ومجاهد في قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ قالا: «علىٰ دينٍ عظيمٍ من الأديان»[٣].

وجاء في صحيحِ مسلم عن قَتَادَةَ قال: قُلْتُ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ

(١) لسان العرب لابن منظور، (١٠/ ٨٩)، القاموس المحيط للفيروز آبادي (٣/ ٢٢٩).

(٢) ينظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٥ / ١٥٨٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨/ ٢٢٧).

خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ بَلَىٰ، قَالَتْ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآن»[١].

وحقيقةُ الأخلاقُ هي: الصورَةُ الباطِنَةُ للإنسانِ، «وهي نَفْسُه وأَوْصافُها ومعانِيها المختصة بها، بمَنْزِلَةِ الخَلْقِ لصُورَتِهِ الظاهِرَةِ وأَوْصافِها ومَعانِيها»[٢]. قال الراغب رَحِمَهُ اللَّهُ: «الخَلْق والخُلُق في الأصلِ واحد، كالشَرْب والشُرْب؛ ولكن خُصَّ الخَلْقُ بالهيئاتِ والأشكالِ والصورِ المدركةِ بالبصر، وخصَّ الخُلُقُ بالقوىٰ والسجايا المدركةُ بالبصيرة »[٣].

ثانياً: الأخلاقُ في الاصطلاح:

أ- الأخلاقُ في الاصلاحِ العام: للعلماءِ تعريفاتٌ متنوعةٌ للأخلاقِ في الاصلاح العام، ومن أجمعها ما عرّفه الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ بقولِهِ: «عبارةٌ عن هيئةٍ في النفسِ راسخةٍ تصدُرُ عنها الأفعالُ بسهولةٍ ويُسرٍ، من غيرِ حاجةٍ إلىٰ فكرٍ ولا رويَّة، فإن كانت الهيئةُ بحيثُ تَصْدرُ عنها الأفعالُ الجميلةُ المحمودةُ عقلاً وشرعـاً سُمِّيت تلك الهيئةُ خُلُقـاً حسنـاً، وإن كان الصادرُ منها الأفعالَ القبيحةَ سُمِّيَت الهيئةُ التي هي المصدرُ خُلُقـاً سيئـاً، وإنما قُلْنا إنها هيئةٌ راسخة؛ لأن من يَصْدُرُ منه بذلُ المالِ علىٰ النُّدُورِ بحالةٍ عارضةٍ لا يقالُ خُلُقُه السخاءُ ما لم يَثْبُتْ ذلك في نفسِهِ ثبوت رسوخ، وإنما اشترطنا أن تصدرَ منه الأفعالُ بسهولةٍ من غيرِ روية، لأن من تكلفَ بذلَ المالِ أو السكوتِ عند

---

(١) كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، ح رقم (١٣٩).

(٢) ينظر: تاج العروس للفيروز آبادي (ص: ٦٢٩٢)، ولسان العرب لابن منظور (١٠/ ٨٦).

(٣) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ص: ١٥٨).

الغضبِ بجهدٍ ورويةٍ لا يقالُ خلقُه السخاءُ والحلم»[١]، ولهذا قال ابنُ عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الخُلُق: السجيةُ المتمكنةُ في النفسِ، باعثةٌ علىٰ عملٍ يناسبُها من خيرٍ أو شر»[٢].

ب - مفهومُ الأخلاقِ الحسنة: فمفهومُ الخلقِ الحسن من الأُمورِ الواضحةِ للناسِ حتىٰ كأنها ليست في حاجةٍ إلىٰ تعريفٍ، لأن الكلَّ يعلمُ بأن حسنَ الخلقِ عبارةٌ عن مجموعةٍ من الصفاتِ والسلوكِ الحسنِ التي يتصفُ بها المرءُ من بذلِ المعروف، وكفِّ الأذىٰ، وكظمِ الغيظِ، واحتمالِ الناسِ، والعفو عن المسيء، وصدقِ اللسانِ، وحسنِ الحديث، وإظهارِ الطلاقةِ والبشرِ وغيره، مع تركِ وتجنبِ الصفاتِ السيئةِ كالكبرِ والظلمِ والبخلِ والحسدِ والقسوةِ وغيرِها، ولهذا قال العلماءُ جِمَاعُهُ أمران: بذلُ المعروفِ قولاً وفعلاً، وكفُّ الأذىٰ قولاً وفعلاً[٣].

ولهذا يمكن تعريفها بأنها: **قيمٌ غائرةٌ في النفسِ الإنسانيةِ تصدرُ عنها الأخلاقُ الحسنةُ، وتكفهُا عن الأخلاقِ السيئةِ دون تكلف.**

ج - الأخلاقُ في الإسلامِ: الأخلاق في الإسلام عند ما تطلق يريدون بها: آداب ومبادئ كريمة، تنظمُ السلوكَ الإنساني وعلاقتَه بغيرِه علىٰ نحوٍ يحققُ السعادةَ الإنسانية.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، ح رقم (١٥٣٠٤).

(٢) التحرير والتنوير (١٨/ ٧٩).

(٣) ينظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٥/ ١٥٧٢).

ثالثاً: الفرق بين الخُلُق والتخلُّق:

وهناك فَرْقٌ بين الخُلُق والتخلُّق؛ إذ التخلُّق هو التكلُّفُ والتصنُّعُ، وهو لا يدومُ طويلاً، بل يرجعُ إلىٰ الأصل، والسلوكُ المتكلَّفُ لا يسمَّىٰ خُلقًا حتىٰ يصيرَ عادةً وحالةً للنفسِ راسخةً يصدُرُ عن صاحبِه في يُسر وسهولة؛ فالذي يصدُقُ مرةً لا يوصَفُ بأن خُلقَه الصدقُ، ومن يكذِبُ مرَّةً لا يقال: إن خُلقَه الكذب، بل العبرةُ بالاستمرارِ في الفعلِ حتىٰ يصيرَ طابعًا عامًّا في سلوكه، قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وحقيقة الخُلُق في اللغة: هو ما يأخذ به الإنسان نفسه من الأدب، يسمىٰ خُلُقًا، لأنه يصير كالخِلْقة فيه»[١].

وقد جاء هذا المعنىٰ في الحديثِ الصحيح الذي يرويه الإمام مسلم في قولِ النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِىٰ إِلَىٰ الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِىٰ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّىٰ الصِّدْقَ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِىٰ إِلَىٰ الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِىٰ إِلَىٰ النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّىٰ الْكَذِبَ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»[٢].



(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٢٢٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: قُبْحِ الْكَذِبِ وَحُسْنِ الصِّدْقِ وَفَضْلِهِ ح رقم (٦٨٠٥).



المبحث الثاني

مكانة ومنزلة الأخلاق

تظهرُ أهميةُ ومكانةُ الأخلاقِ في الإسلامِ من عدةِ أمور، منها:

أولاً: كثرةُ الأدلةِ التي تحثُّ على مكارمِ الأخلاق في الكتاب والسنة:

فقد وردت آياتٌ كثيرةٌ في القرآنِ الكريمِ تحثُّ علىٰ مكارمِ الأخلاق، كالصدقِ، والعدلِ، والأمانةِ، والكرمِ، والوفاءِ بالعهد وغيرِها، وتمدحُ المتصفين بها، وتعدُهم بأعظمِ الثواب.

كما جاءت آياتٌ كثيرةٌ تنهىٰ عن قبائحِ الأخلاقِ وسيئها، كالكذب، والظلمِ، والخيانةِ، والبخلِ، والغدر وغيرِها، وتذمُ المتصفين بها، وتعدِهم بالعقابِ الأليم.

فما من خلقٍ كريمٍ إلا ودعا إليه القرآنُ وحثَّ عليه، وذكرَ نماذجَ خيرةً فيه، وما من صفةٍ ذميمةٍ إلا وحذرَ منها، وذكرَ نماذجَ منفرة من المتصفين بها، بل جاءت الآياتُ الكثيرةُ التي توضحُ أصولَ الأخلاقِ كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ

إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٠ – ٩١]، وكقوله تعالىٰ: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٩]، وكقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴾ [فصلت: ٣٤ – ٣٥].

وقد جاءت أحاديثُ كثيرةٌ كذلك في السنةِ تحثُّ علىٰ التخلُّق بالأخلاقِ الحسنة، وتحذِّر من الأخلاق السيِّئة، من ذلك: ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ»[1].

وعَنْ طَلْحَةَ بْنِ كَرِيْزٍ الْخُزَاعِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ كَرِيمٌ يُحِبُّ مَعَالِيَ الأَخْلاَقِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»، وفي روايةِ ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «إنّ اللهَ تعالىٰ جَميلٌ يحِبُّ الجَمالَ ويحبُّ مَعالِيَ الأَخْلاقِ ويَكْرَهُ سَفْسافَها»[2].

وعَنْ أَبي ذَرٍّ ومعاذِ بن جَبَلٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أَنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمحُهَا، وخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[3].

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ح رقم (٢٧٣)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ ح رقم (٢١٣٠١)، والحاكم في المستدرك ح رقم (٤٢٢١)، وقال صحيح علىٰ شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤٥)..

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرىٰ ح رقم (٢١٢٩٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٢٤٣)، والطبراني في الأوسط ح رقم (٥٩٢٨)، والحاكم في المستدرك ح رقم(١٥٢)، قال: صحيح الإسنادين جميعا ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع بالرقم: (١٧٤٣– ١٧٤٤).

(٣) أخرجه أحمد في المسند ح رقم (٢١٣٩٢)، التِّرمِذيُّ في سننه ح رقم (١٩٨٧)، وقال: هذا

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وخالقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسن»: «هذا من خصال التقوىٰ، ولا تَتِمُّ التقوىٰ إلا به، وإنَّما أفرده بالذكر للحاجة إلىٰ بيانه، فإنَّ كثيراً من النَّاس يظنُّ أنَّ التقوىٰ هي القيامُ بحقِّ اللهِ دونَ حقوق عباده، فنصَّ له علىٰ الأمر بإحسان العشرة للناس... وكثيراً ما يغلبُ علىٰ من يعتني بالقيامِ بحقوقِ الله، والانعكافِ علىٰ محبتهِ وخشيتهِ وطاعتهِ إهمالُ حقوقِ العبادِ بالكُلِّيَّةِ أو التقصيرُ فيها، والجمعُ بَيْنَ القيامِ بحقوقِ الله، وحقوقِ عبادِه عزيزٌ جداً لا يَقوىٰ عليه إلاَّ الكُمَّلُ مِنَ الأنبياءِ والصديقين، وقال الحارث المحاسبي: ثلاثةُ أشياءٍ عزيزةٌ أو معدومةٌ: حسنُ الوجهِ مع الصِّيانة، وحسنُ الخلقِ مع الدِّيانة، وحُسنُ الإخاءِ مع الأمانة»[١].

ثانياً: الفطرةُ تدعو لمحاسنِ الأخلاقِ وتبغضُ سيئَها:

ومما يدلُّ علىٰ مكانةِ الأخلاقِ أن الأخلاقَ الكريمةَ تدعو إليها الفِطَر السليمة، والعقلاءُ مجمعون علىٰ أن الصدقَ، والوفاءَ بالعهد، والجودَ، والصبرَ، والشجاعةَ، وبذلَ المعروفِ وغيرَها أخلاقٌ فاضلةٌ يستحقُ صاحبُها التكريمَ والثناء، وأن الكذبَ، والخيانةَ، والجبنَ، والبخلَ وغيرَها أخلاقٌ سيئةٌ يُذمُ صاحبُها، فمما يدلُ علىٰ مكانتِها اتفاقِ أهلِ الأرضِ قاطبةً علىٰ مجملها.

حَديثٌ حَسنٌ صحيح، والطبراني في الأوسط ح رقم(٣٧٧٩)، والدارمي في سننه ح رقم (٢٨٤٧)، وقال الحاكم في المستدرك: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٩٧).

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (١٩/ ٧٧).

ثالثاً: حسنُ الخلقِ هدي الأنبياءِ والمرسلين:

ما من نبيٍّ إلا ومدحَه الله بخلقٍ كريم، كقوله تعالىٰ عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود:٧٥]، وكقوله تعالىٰ عن عيسىٰ عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢]، وكقوله تعالىٰ عن إسماعيل عليه السلام: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤]، وأعظمُ ما مدحَ اللهُ به نبيَه الكريمَ حسنُ الخلقِ، قَالَ اللهُ تَعالَىٰ له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، ووصفُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم بالخلقِ العظيمِ يدلُّ علىٰ أنّ الأخلاقَ من أعظمِ صفاتِ الأنبياء والمرسلين والصالحين، وكلُّ من قرأ سيرَ العظماءِ، وتصفحَ تاريخَ النبلاءِ لن يجدَ أعظمَ من خلق المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم، كان صلواتُ ربي وسلامُه عليه من أحسنِ الناس قولاً وفعلاً، في بيتِه، وفي سوقِه، مع الأغنياءِ والفقراءِ، فقد جاء عن أنسٍ رضي الله عنه، قال: كَانَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «أَحْسَنَ النَّاس خُلُقًا»(١).

وفي رواية مسلم قَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ فَقُلْتُ وَاللهِ لاَ أَذْهَبُ، وَفِى نَفْسِى أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَخَرَجْتُ حَتَّىٰ أَمُرَّ عَلَىٰ صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي – قَالَ – فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ: «يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ »؟

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الآداب، في باب: حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل ح رقم (٥٦٩١)، ومسلم في كتاب: المساجد باب: جَوَازِ الْجَمَاعَةِ فِي النَّافِلَةِ وَالصَّلاَةِ عَلَىٰ حَصِيرٍ وَخُمْرَةٍ وَثَوْبٍ وَغَيْرِهَا مِنَ الطَّاهِرَاتِ ح رقم: (١٥٣٢).

قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللهِ»[١].

وعنه قَالَ: مَا مَسِسْتُ دِيبَاجًا وَلاَ حَرِيراً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رسولِ اللهِ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَلاَ شَمَمْتُ رَائِحَةً قَطُّ أَطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ رسولِ اللهِ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَلَقَدْ خدمتُ رسول اللهِ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَشْرَ سنين، فما قَالَ لي قَطُّ: أُفٍّ، وَلاَ قَالَ لِشَيءٍ فَعَلْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَه؟ وَلاَ لشَيءٍ لَمْ أفعله: أَلاَ فَعَلْتَ كَذا؟»[٢].

وجاء في صحيح البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا أَنَّهَا قَالَتْ: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا»[٣].

وجاء في صحيح البخاري ومسلم أيضًا عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا، قَالَ: لَمْ يكن رسولُ الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، وكان يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنكُمْ أَخْلاَقًا»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا ح رقم: (٦١٥٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: الجمعة باب: حُسْنِ الْخُلُقِ وَالسَّخَاءِ وَمَا يُكْرَهُ مِنْ الْبُخْلِ ح رقم (٦٠٣٨)، ومسلم في كتاب: الفضائل، باب: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا ح رقم: (٦١٥١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: فضل الجمعة، باب: صِفَةِ النَّبِيِّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ح رقم (٣٥٦٠)، ومسلم في كتاب: الفضائل، باب: مُبَاعَدَتِهِ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لِلآثَامِ وَاخْتِيَارِهِ مِنَ الْمُبَاحِ أَسْهَلَهُ وَانْتِقَامِهِ لِلَّهِ عِنْدَ انْتِهَاكِ حُرُمَاتِهِ ح رقم: (٦١٩٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: المناقب، باب: صِفَةِ النَّبِيِّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ح رقم (٣٥٥٩)، ومسلم في كتاب: الفضائل، باب: كَثْرَةِ حَيَائِهِ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ح رقم: (٦١٧٧).

رابعاً: حسنُ الخلقِ صفةُ المتقين:

قد عدَّ اللهُ في كتابهِ مخالقةَ الناسِ بخلقٍ كريمٍ من صفاتِ المتقين، وعبادهِ المقربين، قال تَعالَىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤]، أولُ ما ذكرَ لهم من صفاتٍ جوانب تتعلقُ بالأخلاقِ.

وكذلك ما جاء في صفاتِ عبادِ الرحمن أولُها وآخرُها في الأخلاقِ، قال تعالىٰ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ٦٤ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٦٦ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٠ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ٧١ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ٧٢ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا﴾ [الفرقان: ٦٣ – ٧٣].

وكذلك ما جاء في صفاتِ من أفلحَ من المؤمنين كلُّها في الأخلاقِ،

قال تعالىٰ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١ – ١١].

خامساً: حسنُ الخلقِ دليلُ خيريةٍ وكمالُ إيمان:

فقد جاء في صحيحِ البخاري عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَخْيَرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ خُلُقًا»، وفي رواية مسلم: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحَاسِنكُمْ أَخْلَاقًا».

وقد جاء في حديثِ أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُهُمْ خِيَارُهُمْ لِنِسَائِهِمْ» (١)، فقد جعلَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كمالَ الايمانِ في كمالِ حسنِ الخلق.

قال الحليمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «دلَّ علىٰ أن حسنَ الخلقِ إيمان، وعدمَه نقصانُ إيمان، وأن المؤمنين يتفاوتون في إيمانِهم، فبعضُهم أكملُ إيمانا من بعض،

(١) أخرجه الإمامِ أحمد في المسند ح رقم (٧٣٩٦)، وأبو داود في سننه ح رقم (٤٦٨٤)، والترمذي ح رقم (١١٦٢)، وقال: حسن صحيح،، والبيهقي في السنن الكبرىٰ ح رقم (٢١٣٠٢)، والحاكم في المستدرك ح رقم (١)، وصححه الذهبي في التلخيص علىٰ المستدرك (١١٦٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم(١٢٣٢).

ومن ثم كان المصطفىٰ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحسن الناس خلقا لكونه أكملَهم إيمانا »[١].

سادساً: حسنُ الخلقِ جماعُ الخيرِ والبر:

ومما يدلُ علىٰ مكانةِ الخلق بأنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعلَ البرَّ حسنَ الخلق، فعن النَّوَاسِ بنِ سمعان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سألتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن البِرِّ وَالإثم، فَقَالَ: «البِرُّ: حُسنُ الخُلقِ، والإثمُ: مَا حاك في صدرِك، وكَرِهْتَ أن يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»[٢]، ولهذا قال ابن القيم -رحمه الله -: «الدين كله خلق فمن زاد عليك في الخلق: زاد عليك في الدين»[٣].

سابعاً: حسنُ الخلقِ أعظمُ عطاءٍ من اللهِ للعبد:

ومما يدلُّ علىٰ مكانةِ الأخلاقِ جعلَها النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنها أعظمُ عطاءٍ من اللهِ لعبده، كما جاء في حديثِ أسامةَ بن شريك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قالوا: يا رسولَ الله، ما أفضلُ ما أُعطي المرءُ المسلمُ؟ قال: «الخُلق الحَسَنُ»[٤].

ولهذا قالَ الشاعر:

وَإِذَا رُزِقْــتَ خَلِيقَــةً مَحْمُــودَةً ... فَقَــدْ اصْطَفَــاكَ مُقَسِّــمُ الأَرْزَاقِ

(١) فيض القدير للمناوي (٨/ ٢٤٩).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تفسير البر والإثم، ح رقم (٦٦٨٠).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٣٠٧).

(٤) أخرجه: أحمد في المسند (٤/ ٢٧٨)، وابن ماجه في سننه ح رقم (٣٤٣٦)، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» ح رقم (٥٨٧٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» ح رقم (٢٩١)، وابن حبان ح رقم (٤٧٨)، وابن خزيمة ح رقم (٢٧٧٤)، والبيهقي في شعب الإيمان ح رقم (٨٠١٥)، والطبراني في الأوسط ح رقم (٣٦٧)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان علىٰ صحيح ابن حبان برقم (٤٧٨).

ثامناً: حسنُ الخلقِ سببُ زيادةِ الأعمارِ وعمارةِ الديار:

ومما يدلُّ علىٰ منزلةِ الخلقِ الحسن أنه سببٌ لزيادةِ الأعمارِ وعمارةِ الديار، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ قَالَ لَهَا: «إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ»[(١)].

تاسعاً: حسنُ الخلقِ به تُنالُ محبةُ اللهِ تعالى:

نجدُ كثيراً ما يربطُ اللهُ تعالىٰ محبتَه في القرآن ببعضِ القيمِ الأخلاقية، قال تعالىٰ: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ [الصف:٤]، وينفيها عند تخلفِ بعضها قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ﴾ [لقمان: ١٨]، روىٰ الطبراني في المعجمِ الأوسطِ والكبير، وابنُ حبان، والحاكمُ، قولَه صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ: «أَحَبُّ عِبادِ اللهِ إِلَىٰ اللهِ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»[(٢)].

---

(١) خرجه أحمد في المسند، ح رقم (٢٥٢٥٩) وغيره، وصححه شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند، والألباني في السلسلة الصحيحة، ح رقم: (٥١٩).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط، ح رقم (٦٣٨٠)، وفي الكبير، ح رقم (٤٧١)، وابن حبان في صحيحه، ح رقم (٤٨٦)، والحاكم في المستدرك، ح رقم (٨٢١٤)، قال المنذري في الترغيب

عاشراً: حسنُ الخُلقِ أثقلُ ما يُوضَعُ في الميزانِ يوم القيامة:

عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلَ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الخُلُقِ لَيَبْلُغَ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلاَةِ»[(١)].

الحادي عشر: حسنُ الخلقِ من أكثرِ ما يدخلُ الجنة:

عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أكثرُ ما يُدخِلُ الجنَّة تقوىٰ الله، وحُسنُ الخلق»[(٢)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «جمعَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين تقوىٰ اللهِ وحسنَ الخلق، لأن تقوىٰ اللهِ تصلحُ ما بين العبدِ وبين ربِّه، وحسنَ الخلق يصلحُ ما بينه وبين خلقهِ. فتقوىٰ اللهِ توجبُ له محبةَ الله، وحسنُ الخلقِ يدعو الناسَ إلىٰ محبته»[(٣)].

والترهيب رقم (٤٠٢٥): رواته محتج بهم في الصحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رقم (١٢٦٩١) : رجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم (١٧٩).

(١) أخرجه أبو داود ح رقم (٦٢٢٩)، والترمذي ح رقم (٢٠٠٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» ح رقم (٢٧٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» ح رقم (٨٠٦٤)، وقال الترمذي: غريب صحيح، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ح رقم (١٢٦٧٨)، (٨/ ٥٠): رواه البزار ورجاله ثقات، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٥٧٢٦).

(٢) أخرجه أحمد في المسند ح رقم (٩٦٩٤)، والبخاري في الأدب المفرد ح رقم (٢٨٩)، والتِّرْمِذِيُّ ح رقم (٢٠٠٤)، وابن حبان في صحيحه ح رقم (٤٧٦)، والبيهقي في الشعب ح رقم (٥٧٥٦)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٩٧٧).

(٣) الفوائد (٢/ ٧٢).

الثاني عشر: حسنُ الخلقِ يُبلغُ لأعظمِ الدرجاتِ في الجنة:

فقد أخبرَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ صاحبَ الخلقِ الحسنِ يَبلُغُ بِخلقِه درجةَ الصَّائمِ القائم، فقد جاء في حديثِ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إنَّ المؤمن ليُدرِكُ بحُسْنِ خُلُقه درجاتِ الصَّائم القائم»[١].

قال ابنُ قيمِ الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ: «من يُحسنُ خلقَه مع الناسِ مع تباينِ طبائعِهم وأخلاقِهم فكأنه يجاهدُ نفوسًا كثيرةً، فأدركَ ما أدركَه الصائمَ القائمَ، فاستويا في الدرجةِ بل ربما زاد»[٢].

وقال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: مثل درجة أي: منزلة «القائم بالليل» أي: المتهجد فيه «الظامئ الهواجر» أي: العطشان في شدة الحر بسبب الصوم؛ لأنهما يجاهدان أنفسهما في مخالفة حظهما من الطعام والشراب والنكاح والنوم والصيام، يمنع من ذلك والنفس أمارة بالسوء تدعو إلىٰ ذلك؛ لأن بالطعام يتقوىٰ وبالنوم ينمو، فالصائم والقائم مجاهدان بذلك، ومن جمعهما فكأنه يجاهد نفسا واحدة، ومن حسن خلقه يجاهد نفسه في تحمل أثقال مساوئ أخلاق الناس؛ لأن الحسن الخلق لا يحمل غير خلقه وأثقاله ويتحمل أثقال غيره وخلقه، وهو جهاد كبير فأدرك ما أدركه القائم الصائم فاستويا في الدرجة»[٣].

وفي حديثٍ آخرٍ ضمِن لصاحبِ الخُلقِ الحسنِ دخولِ الجنة، بل أعلىٰ

---

(١) أخرجه: أبو داود ح رقم (٤٧٨٩)، وأحمد ح رقم (٢٤٦٣٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» ح رقم (٧٩٩٧)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ح رقم (٥٠٨٢).

(٢) حاشية تهذيب السنن (١٣/ ١٥٤).

(٣) فيض القدير (٩/ ٤٢٠).

درجاتِها، حيثُ قال ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»[١].

الثالث عشر: حسنُ الخلقِ يحققُ القربَ من النبيِّ ﷺ:

عن عبدِ الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ، أَحَاسِنَكُم أَخْلاَقاً، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ القِيَامَةِ، الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ» قالوا: يَا رسول الله، قَدْ عَلِمْنَا «الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ »، فمَا المُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: «المُتَكَبِّرُونَ»[٢].

«الثَّرْثَارُ»: «هُوَ كَثِيرُ الكَلاَمِ تَكَلُّفاً، وَ«المُتَشَدِّقُ»: المُتَطَاوِلُ عَلَى النَّاسِ بِكَلاَمِهِ، وَيَتَكَلَّمُ بِمَلءِ فِيهِ تَفَاصُحاً وَتَعْظِيماً لِكَلامِهِ، وَ«المُتَفَيْهِقُ»: أصلُهُ مِنَ الفَهْقِ وَهُوَ الامْتِلاَءُ، وَهُوَ الَّذِي يَمْلأُ فَمَهُ بِالكَلاَمِ وَيَتَوَسَّعُ فِيهِ، ويُغْرِبُ بِهِ تَكَبُّراً وَارْتِفَاعاً، وَإِظْهَاراً للفَضيلَةِ عَلَى غَيْرِهِ»[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ح رقم (٤٨٠٢)، واللفظ له، والنسائي ح رقم (٤٣٤١)، والترمذي ح رقم (٢٠٠٢)، والبيهقي في السنن الكبرى ح رقم (٢١٧٠٨)، والطبراني في المعجم الكبير ح رقم (٧٤٨٨)، والأوسط ح رقم (٨٧٨)، وقال الترمذي: حسن، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ح رقم (١٤٦٤).

(٢) أخرجه أحمد في المسند ح رقم (٧٠٣٥)، البخاري في الأدب المفرد ح رقم (٢٧٢)، والترمذي ح رقم (٢٠١٨)، وقال: وهذا حديث حسن غريب، وابن حبان بترتيب ابن بلبان ح رقم (٤٨٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٧٩١).

(٣) تطريز رياض الصالحين (١/ ٤٢٢).

الرابع عشر: حسنُ الخُلقِ خيرُ لباسٍ وزينةٍ للعبد:

الجمالُ جمالان؛ جمالٌ حسي ظاهري، يتمثلُ في الشَّكلِ والهيئةِ والزينةِ والمركَبِ والجاهِ والمنصب، وجمالٌ معنوي باطني، يتمثلُ في النفسِ والسلوكِ والذكاءِ والفطنةِ والعلمِ والأدب، كما قال علي بن أبي طالب:

ليْسَ الجَمَال بأَثْوابٍ تُزَيِّنُنَا   إن الجمالَ جمالُ العلمِ والأدب

ليس اليتيمُ الذي قد مات والدُه   إِنَّ اليَتيمَ يَتيمُ العِلْمِ والأَدَب

وقد ذكرَ اللهُ تعالىٰ أن للإنسان عورتينِ؛ عورةُ الجسم، وعورةُ النفس، ولكلٍّ منهما ستر؛ فسترُ الأولىٰ بالملابسِ، وسترُ الثانية بالخُلق، وقد أمرَ اللهُ تعالىٰ بالسترين، ونبَّه أن السترَ المعنوي أهمُّ من السترِ الحسي، قال تعالىٰ: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٦]؛ فطهارةُ الباطن أعظمُ من طهارةِ الظاهرِ، «والثوابُ والعقابُ يَتَعَلَّقانِ بأَوْصافِ الصُّورَةِ الباطِنَةِ أَكْثَرَ مِمّا يَتعَلَّقانِ بأَوْصافِ الصُّورَةِ الظّاهِرَةِ، ولهذا تَكَررتِ الأَحادِيثُ في مَدْح حُسْنِ الخلُقِ في غَيْرِ مَوْضع... وكذلِكَ جاءَت في ذَمِّ سُوءِ الخُلُقِ أَيْضًا أحادِيثُ كَثِيرَة»[١].

الخامس عشر: حسنُ الخلقِ يؤدي إلى صلاحِ العمل:

وعَنْ ابن عُمَرَ، أَنَّ رَجُلاً، جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ، وَأَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ

(١) تاج العروس لمرتضىٰ الزبيدي (ص: ٦٢٩٢).

صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَىٰ اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَىٰ مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَئِنْ أَمْشِي مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ شَهْرًا فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ، مَلأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَىٰ مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّىٰ يُثَبِّتَهَا لَهُ ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامُ، وإِنَّ سُوءَ الخُلُق لَيُفْسِد العملَ كما يُفْسِدُ الخلُّ العسلَ»[1].

ومن هنا فإن حسنَ الخلقِ دعت إليه كلُّ الديانات، ونادىٰ به كلُّ العقلاء علىٰ وجهِ الأرض، وتغنىٰ به الشعراءُ في كلِّ العصورِ، قال الشاعرُ:

صَلاحُ أَمْرِكَ لِلأَخْلاقِ مَرْجِعُهُ فَقَوِّمِ النَّفْسَ بِالأَخْلاقِ تَسْتَقِمِ



(١) رواه الطبراني في الكبير ح رقم (١٣٦٤٦)، وفي الأوسط ح رقم (٦٠٢٦)، وفي الصغير ح رقم (٦٨١) عن ابن عمر، وابن أبي الدنيا في كتاب قضاء الحوائج ح رقم (٣٦)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف الجامع برقم (١٧٦).



المبحث الثالث

الأخلاقُ مصادرُها وأقسامُها

المطلب الأول: مصادرُ الأخلاقِ في الإسلام:

المصدرُ هو الموردُ الذي يصدرُ عنه الإنسانُ في بغيته، ومصادر الأخلاقِ في الإسلام تختلفُ عن مصادرِ الأخلاقِ عند غيرِ المسلمين، كما أن دوافعَ الأخلاق تختلفُ عند المسلمِ من غيره، فقد يكونُ المصدرُ عندهم هو العقلُ، أو استحسانُ المجتمعِ، أو الإرثُ ولو كانَ مخالفًا للعقلِ والفطرة وغيرها، أما المصادرُ التي تُستَقىٰ منها الأخلاقُ الإسلاميةُ فهي مصادر أصيلة، تتلخصُ في الآتي:

المصدرُ الأول: القرآنُ الكريم:

فهو العمدةُ والمعتدُ الأولُ للأخلاقِ، لأن القرآنَ جاء ليهدي لكلِّ خلقٍ كريم، وهدي مستقيم، كما قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩] أي: في سائرِ مناحي الحياة، ومن أعظمِ ما هدىٰ إليه القرآنُ مكارمُ الأخلاقِ التي تصلحُ الفردَ والمجتمعَ؛ بل أن النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الذي مدحَه اللهُ تعالىٰ بالخلقِ العظيمِ كان مصدرُ خلقهِ القرآن؛ ولذا نرىٰ أن أبا حامد الغزالي في كتابهِ «جواهر القرآن» حصرَ الآياتِ القرآنيةِ التي تناولت الأخلاقَ ثم حلّلَها، وتوصلَ من خلالِ التحليلِ والحصرِ إلىٰ تقسيمها قسمين رئيسين،

يتصلُ أحدُهما بالمعرفة، ويتصلُ الثاني بالسلوك، ووجدَ أن النوعَ الأول: يشملُ الأخلاقَ النظرية وعددُها (٧٦٣) آية، والنوعُ الثاني: يشملُ الأخلاقَ العملية وعددُها (٧٤١) آية، فيصبحُ مجموعُها (١٥٠٤) آية، وبذلك تمثلُ آياتِ الأخلاقِ ما يقاربُ ربعَ القرآن الكريم؛ بل ما شرعت العقوباتُ إلا لحمايةِ وصيانةِ الأخلاق؛ بل ربط بين الأخلاقِ وسائر شعائر الدين من عقديةٍ وعباداتٍ ومعاملاتٍ بصورةٍ لا ترىٰ فيها الأخلاقَ منفصلةً عنها، فجعل العقيدةَ حارسةً للتصرفات، والصلاةَ خلاصتُها طهرٌ في الأخلاق، قال تعالىٰ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وفي قصص الأنبياء والصالحين التي ذكرت في القرآن الكثير الكثير من النماذج القيمة في الخلق الكريم.

المصدرُ الثاني: السنةُ النبويةُ:

السنةُ هي بيانٌ للقرآن، وهي المصدرُ الثاني للتشريع والهدىٰ، وقد جاءت مؤكدةً لما دعا إليه القرآنُ الكريم في مئاتِ الأحاديثِ التي تحثُّ علىٰ حسنِ الخلقِ وتنهىٰ عن ضدِه، كما أن أفعالَه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحياتَه مع أهلِهِ وأصحابِهِ والناسِ جميعـًا مليئةٌ بالنماذجِ المشرقةِ في هذا الباب، كما سوف

نوضحُ جزءاً من ذلك بإذنِ الله، وكيف لا يكون كذلك وهو القائل: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ»[(١)]، وقال أيضاً ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً»[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الرسولُ ﷺ بعثَه اللهُ تعالىٰ هدىً ورحمةً للعالمين، فإنه كما أرسلَه بالعلمِ والهدىٰ والبراهين العقليةِ والسمعية؛ فإنه أرسلَه بالإحسانِ إلىٰ الناسِ، والرحمةِ لهم بلا عوض، وبالصبرِ علىٰ أذاهم واحتمالِه، فبعثه بالعلمِ والكرمِ والحلم، عليمٌ هاد، كريمٌ محسن، حليمٌ صفوح»[(٣)].

المصدرُ الثالث: سيرُ الأنبياءِ والصالحين:

من المصادرِ القوية للأخلاقِ ما جاء وثبت من سيرِ الأنبياءِ والمرسلين والصالحين، فالأنبياءُ جعلهم اللهُ قدوةَ العالمين، فأقوالُهم وأفعالُهم هدىً يقتدىٰ بها، قال تعالىٰ بعد أن ذكرَ خمسةَ وعشرين رسولاً في سورة الأنعام مخاطباً رسولَه وأمتَه تبعاً له: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وقال تعالىٰ: ﴿لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [الممتحنة: ٦]، وقال تعالىٰ عن رسولنا الكريم: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٢١].

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٢٠).

(٢) تقدم تخريجه (ص ٢٥).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١٦/ ٣١٤).

وكذلك سيرُ الصالحين من الصحابةِ والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فهم النماذجُ المشرقةُ للمؤمنين في الحياة، ومن هنا اهتم العلماءُ بسيرِهم وأخبارِهم، وألّفت في ذلك المجلدات؛ لأنها تمثلُ خلاصةَ علمِهم، وثمرةَ مجاهداتِهم مع أنفسِهم في تهذيبِها ورقيّها.

المصدر الرابع: الأعرافُ المستقيمة:

العرفُ معتبرٌ في الشريعة الإسلامية عند جمهور الأصوليين، بوصفه مصدراً من مصادر التشريع، له حجيته وإلزاميته في بعض القضايا والأحكام، خاصة فيما لا نص فيه من الآداب والسلوكيات التي تختصُ ببعض المجتمعات، خاصةً أن كثيرًا من أعمال الناس وتصرفاتهم ومعاملاتهم في الحياة قائمة علىٰ ما اعتادوه وتعارفوه، إلا أن هنالك اختلاف بين العلماء في اعتباره دليلًا مستقلًا أم لا.

كما أن هنالك اتفاق بينهم أن العرف إذا خالف الدليل الشرعي فالمعتبر ما جاء في الشرع، قال ابن عابدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا اعتبار للعرف المخالف للنص؛ لأن العرف قد يكون علىٰ باطل بخلاف النص»[1]، وقد جاء القرآنُ الكريم وأقرَّ كثيراً من الآدابِ والأخلاقِ والمعاملات التي كانت موجودةً عند

---

(١) ينظر رسالته في العرف: (ص: ٤).

العربِ، وتناولها بصورةٍ واسعةٍ من خلال أشعارِهم وحكمهم، خاصةً إذا نالت هذه الأعرافَ استحساناً من العلماءِ، واتفقوا عليها أو أجمعوا علىٰ استحسانها وقبولها.

المطلب الثاني: أقسامُ الأخلاق:

تنقسمُ الأخلاقُ في الإسلامِ إلىٰ عدةِ أقسامٍ باعتباراتٍ متعددة من ذلك:

القسمُ الأولُ: الأخلاقُ من حيثُ العموم:

قسم العلماءُ الأخلاقَ من حيث العمومِ إلىٰ نوعين:

النوع الأول: الأخلاق الحسنة:

وهي الآداب والفضائل التي ينتج عنها أقوالاً وأفعالاً حميدة عقلاً وشرعاً.

النوع الثاني: الأخلاق السيئة:

وهي الصفات الرذيلة التي ينتج عنها أقوالاً وأفعالاً قبيحة عقلاً وشرعاً.

القسم الثاني: الأخلاقُ من حيثُ مصدرِها:

قسم العلماءُ الأخلاقَ من حيث مصدرِها إلىٰ قسمين:

القسم الأول: الأخلاقُ الجِبِلِّيَّة:

وهي الأخلاقُ التي فُطِرَ عليها الإنسان، وخلقَها اللهُ تعالىٰ فيه، وهي قابلةٌ للتنميةِ أكثرَ من غيرِها، مثلُ: الجودِ، والحلمِ، والصبرِ وغيرِها، كما دلَّ علىٰ ذلك حديثُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلأَشَجِّ أَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: حيثُ قال له: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمِ اللهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا قَالَ: «بَلِ اللهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا». قَالَ: الْحَمْدُ اللهِ الَّذِىٰ جَبَلَنِي عَلَىٰ خُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ وَرَسُولُهُ»[(١)].

وقد جاء في البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ إِذَا فَقُهُوا، وَتَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ فِي هَذَا الأَمْرِ أَكْرَهُهُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، وَتَجِدُونَ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِىٰ يَأْتِي هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ»[(٢)].

فهذا الحديثُ فيه دليلٌ علىٰ فروقِ الهباتِ الفطرية الخُلُقية، وخيارُ

---

(١) رواه وأبو داود ح رقم (٥٢٢٧)، والترمذي في سننه ح رقم (٢٠١١)، وابن ماجة في سننه ح رقم (٤١٨٨)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ ح رقم (٢١٣٢٣)، والحاكم في المستدرك وصححه ح رقم (١٠٦)، والطبراني في الأوسط ح رقم (٢٣٧٤) والكبير ح رقم (٥٣١٣)، وفي الصغير ح رقم (٧٩٢)، وابن حبان ح رقم (٧٢٠٤)، وأصله في صحيح مسلم ح رقم (١٢٦)، والزيادة جاءت في سنن أبي داود، والبيهقي، وعند الطبري، وصححها الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود ح رقم (٥٢٢٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: الأنبياء، قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾...، ح رقم (٣١٧٥)، ومسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: الأَرْوَاحِ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، ح رقم (٦٨٧٧).

الناسِ في التكوين الفطري هم أكرمُهم خلقًا، وهذا التكوين الخلقي يرافقُ الإنسانَ ويصاحبَه في كلِّ أحواله.

وعنْ أَبِي مُوسَىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خُلِقَ آدَمُ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَىٰ قَدْرِ الأَرْضِ مِنْهُمُ الأَحْمَرُ وَالأَسْوَدُ وَالسَّهْلُ وَالْحَزَنُ، وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ»[1].

القسمُ الثاني: الأخلاقُ المُكتَسبة:

وهي الأخلاقُ التي يكتسبُها الانسانُ بالتعلمِ أو التعود عليها من البيئةِ التي نشأ فيها، أو من كثرةِ التجاربِ والخبرات، وغير ذلك، كما دلَّ علىٰ ذلك قولُ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنما العِلْم بالتعلم، وإنما الحِلْم بالتحلُّم»[2].

والنبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استطاعَ من خلالِ التربيةِ بالقرآنِ والتخلقِ به أن يغيرَ أخلاقَ البداوةِ والقسوة التي كانت سائدةً في قبائلِ العرب، حتىٰ صاروا أرقىٰ العالمين خُلُقًا، وأساتذة الدنيا أدبًا.

قال الجاحظُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الخلقُ قد يكون في بعضِ الناسِ غريزةً وطبعًا، وفي بعضِهم لا يكون إلا بالرياضةِ والاجتهادِ، كالسخاءِ قد يوجدُ في كثيرٍ من الناسِ من غيرِ رياضةٍ ولا تعمد، وكالشجاعةِ والحلمِ والعفةِ والعدلِ وغيرِ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ح رقم (١٩٥٩٧)، وأبو داود ح رقم (٤٦٩٥)، والترمذي في سننه ح رقم (٢٩٥٥)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ ح رقم (١٨١٦٣)، وابن حبان ح رقم (٦٠٦١)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع ح رقم (١٧٥٩).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط ح رقم (٢٦٦٣)، والبيهقي في الشعب ح رقم (١٠٢٥٤)، وابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال ح رقم (٢٤٣)، وحسَّنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٤٢).

ذلك من الأخلاقِ المحمودة»[(١)].

القسم الثالث: الأخلاقُ من حيثُ أثرِها ونفعِها:

قسم العلماءُ الأخلاقَ من حيث أثرِها ونفعِها إلى نوعين:

النوعُ الأول: أخلاقٌ فردية «شخصية»: وهي الأخلاقُ المتعلقةُ بالفردِ، ونفعُها لازمٌ له، يعودُ أثرها عليه غالبًا، كالإخلاصِ، والعفةِ، والحياءِ، والصبرِ والتواضعِ وغيرها، والآيات في هذه الأخلاقِ كثيرةٌ معلومة.

النوعُ الثاني: أخلاقٌ جماعية، «اجتماعية»: وهي المتعلقةُ بالآخرين، ويتعدّىٰ نفعُها إليهم، مثلُ: أداءِ الأمانة، والوفاءِ بالوعد، إصلاحِ ذات البين، الإحسانِ إلىٰ الفقراء، والجودِ والكرم، ونحوها.



(١) تهذيب الأخلاق (ص ١٢).



المبحث الرابع
الوسائلُ والوسائط الأساسيةُ لبناءِ الأخلاق

هنالك وسائطٌ ووسائلُ كثيرةٌ مؤثرةٌ في التنشئةِ الأخلاقية، وتنميةِ دوافعِ الخير والسلوكِ الحسن، والتحذيرِ ومحاربةِ السلوك المنحرف، فهي خير محاضن لترسيخ القيم الأخلاقية الحسنة، من أبرزها:

الأسرة:

هي المحضن الذي يتلقىٰ فيه الطفل الجرعات التربوية الأولىٰ والكبيرة، وهي لها أثر عظيم علىٰ حياته المستقبلية، فإذا كان الوالدان قدوة طيبة انعكس ذلك علىٰ الأبناء، وإلا كان العكس، ومن أكبر أسباب الانحراف الأخلاقي في وسط الشباب فقد الجانب التربوي والتوجيهي في الأسرة.

المدرسة:

المدرسة هي مكان التعليم والتربية في الأمة، وقد أعدت لتكون بيئة صالحة في التربية من خلال المناهج والمعلمين، والأنشطة والضوابط، والطالب يقضي فيها غالب يومه، وجزءاً كبيراً من حياته، إذا أحسن رعاية هذا الجانب انعكس ذلك مباشرة علىٰ الأبناء والخريجين.

دور العبادة:

المساجد هي منارات الهدىٰ، وأحب البقاع إلىٰ ربنا جل وعلا، وهي التي يجتمع فيها صفوة الخلق، كما قال تعالىٰ: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[التوبة:١٠٨]، رجال لم تجمعهم الدنيا؛ بل جمعتهم الآخرة، قال تعالىٰ: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٦ – ٣٨]، فيها يعلم القرآن والآداب والأحكام.

البيئة الاجتماعية:

الإنسان يتأثر بمن حوله سواءً أكان ذلك في تفكيره أو سلوكه، عش مع العلماء تتربىٰ علىٰ حب العلم، عش مع الأمراء تتربىٰ علىٰ حب السلطة، عش مع التجار تتربىٰ علىٰ حب المال والتجارة، كما أنه يتأثر بذلك في سلوكه فعش في بيئة الكرماء تتعلم الكرم، وعش مع الفساق تتأثر دون أن تشعر بسلوكياتهم، وهكذا يعلمنا القرآن أن نتخير البيئة الاجتماعية التي نعيش فيها كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

الوسائل الإعلامية ووسائل التواصل الاجتماعي:

لا يخفىٰ علىٰ عاقلٍ اليومَ أثرَ الإعلامِ ووسائلِ التواصل الاجتماعي من الفيس بوك، والتويتر واليوتيوب وغيرها - التي يسهل من خلالها المحادثة والكتابة ومشاهدة الصور وتبادلِ مقاطع الفيديو - علىٰ أخلاقِ الناسِ وسلوكهم وتفكيرِهم، خاصةً أصبح يستخدمُها المليارُ من الناسِ، وهم في زيادةٍ مطردةٍ، وعامتهم من الشبابِ والشابات، ضعيفِ الثقافةِ والتجربةِ، وهي قد ربطت العالمَ من أولهِ إلىٰ آخرهِ ببعضهِ، وداخلت بين أخلاقِ وثقافاتِ وعاداتِ شعوبِ العالم، وصارَ من السهلِ وصولِ كلِّ دخيلٍ، ومن الصعبِ التحكمِ في ذلك؛ مما يستوجبُ عنايةً فائقةً بهذه الوسائل باستخدامها في زراعةِ وبناءِ القيم الأخلاقية، خاصةً بعد أن عرف فعاليتها وحجم أثرها في العالم قاطبة.

فيجبُ علىٰ البيتِ، والمدرسةِ، ودورِ العبادة، ومؤسساتِ المجتمع، ووسائلِ الإعلام والتواصلِ الاجتماعي أن يكون لها دورُها في بناءِ القيمِ الأخلاقيةِ الجميلةِ المهذبة الراقية، وأن تعملَ في منظومةٍ واحدةٍ في محاربةِ الجوانبِ الأخلاقيةِ المنحرفة التي تشجعُ علىٰ الفاحشةِ والرذيلة، ولا يمكن لأمةٍ مؤسساتُها التربويةُ مثلاً لا تقوم بدورِها الفاعلِ في بناءِ الأخلاق؛ أن تنهضَ وتحققَ أهدافَها المنشودة.





المبحث الخامس

مجالات الأخلاق ودورها في الارتقاء

من الأسسِ التي تقومُ عليها الحياةُ والمجتمعاتُ المتحضرةُ الراقيةُ التخلقُ بالأخلاقِ الحسنة، والتخلي عن الأخلاقِ السيئة، فليست السعادةُ تجلبُ للمجتمعاتِ بكثرةٍ أموالِها، وجمالِ مبانيها، وسعةِ شوارعها، وجمالِ حدائقِها، وإنما تحققُ سعادتُها ورقيها بعظمِ القيمِ الإيمانية والأخلاقية التي يدينُ ويتخلقُ بها ذلك المجتمع، فهذا هو سرُ التميز الذي يصعبُ في بناءِ الحضاراتِ توفره، فلا يمكن تصورُ مجتمعٍ سليمٍ يعيشُ بسلامٍ وأمانٍ إلا في ظلِّ التزامهِ بقيمٍ أخلاقيةٍ عالية، وتخليهِ عن الأخلاقِ السيئة المنحرفة، فمكارمُ الأخلاقِ ضرورةٌ اجتماعيةٌ لا يستغني عنها أي مجتمعٍ من المجتمعاتِ الإنسانية، وهو من أعظمِ المؤشّراتِ لاستمرارِ أمَّةٍ ما أو انهيارِها؛ فالأمة عندما تنهار في أخلاقها يعني ذلك البداية الحقيقية لانهيار كيانها، قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴾ [الإسراء: ١٦]، ومن هنا قال الشاعر:

وإنَّما الأُمَمُ الأَخْلاقُ مَا بَقِيَتْ ... فَإنْ هُمُ ذَهَبَتْ أَخْلاقُهُمْ ذَهَبُوا

وقال شوقي:

وإذا أُصيب القومُ في أخلاقِهم ... فأقِمْ عليهم مأتمًا وعويلًا

فالنّاظرُ في تاريخنا الإسلامي يدركُ أنّ كثيراً من الممالكِ الإسلاميّةِ التي

تأسّست في مراحلَ مختلفةٍ من مراحلِ الحياة، سقطت وذبلت زهرتُها بسببِ ابتعادِها عن أخلاقِها وقيمها، ومثال ذلك حضارةُ الأندلسِ عندما ابتعدت في آخرِ عهدها عن القيمِ والأخلاقِ الإسلاميّة، حيث أصبحت تحكمُها الماديات والأهواءِ، وهذا ما عجّلَ بسقوطِها واستيلاءِ الغرب عليها.

والغربُ من أسبابِ تفوقهِ علينا في بعضِ الجوانب التزامُهم ببعضِ المكارمِ التي يأمرُ بها ديننا الحنيفُ من العدلِ والصدقِ والأمانةِ وغيرها، وجعلوا تلك الخصالَ الحميدةَ محوراً لرقيهم وتقدمِهم، ودفعوا إلينا - نظيرَ ذلك - رذائلَ طبائعِهم، وسفاهةَ أخلاقِهم ليهدموا بها مجتمعات أمتنا.

فالأخلاقُ أساسُ الحياة، وسرُ تقدمِ الأممِ وتطورِها، فلك أن تتصورَ مجتمعاً قائماً علىٰ الظلمِ والخيانةِ والغدرِ وخلفِ الوعودِ ونقضِ العهود وغيرِ ذلك، ومجتمعاً آخرَ قائماً علىٰ العدلِ والأمانةِ والتراحمِ والتعاونِ والتكاتف، ورعايةِ العهود، فأيهما أحقُّ بالبقاءِ والتقدمِ والتطور، فلا قيامَ لمجتمعٍ راقٍ دون أخلاقٍ فاضلة، ومن هنا كانت مجالات الأخلاق شاملة لجميع جوانب الحياة الإنسانية من ذلك:

المجال الأول: في مجال بناء الفرد:

الفردُ هو أهمُّ لبنةٍ في بناءِ المجتمع، والخلقُ الكريمُ هو أحدُ الركائزِ الأساسيةِ في بناءِ الإنسان، وهو أبرزُ ما يتميزُ به المسلمُ الحقُ عن غيرِه، ومن أعظمِ الجوانبِ التي اعتنىٰ بها القرآن في بناء الأخلاقي، الأخلاقِ الفردية التي تجعلُ الفردَ متحملاً لتصرفاتهِ، وأنها ينبغي أن تكونَ في الاتجاهِ المستقيم،

ومن هنا جاءت كثيرٌ من الآيات موجهةً نحو السلوك الفردي، قال تعالىٰ: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٧ - ١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا﴾ [الإسراء: ٣٦ - ٣٧].

وبناءُ الفردِ وصلاحُه يحتاجُ إلىٰ عقيدةٍ صحيحةٍ يصلحُ بها علاقتَه مع ربِّه، يترجمُها في بابِ العبادات، وخلقٍ كريمٍ يصلحُ به علاقتَه مع الخلقِ، يترجمُه في بابِ المعاملات، وهذه الأصولُ الأربعة «الإيمانُ والأخلاقُ، والعباداتُ، والمعاملات» هي التي يقومُ عليها دينُ الإسلامِ، ويتمُّ من خلالِها بناءُ الفردِ الصالح.

ومن هنا كان هنالك ارتباطٌ وثيقٌ بين الإيمانِ والأخلاق، ولهذا قال النبيُّ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»(١)؛ لأن الإيمانَ هو الذي يقوي إرادةَ الخيرِ والخيريةِ في الإنسان، وهو الذي يبعدُه عن الشرِ والآثام، وبالإيمانِ والأخلاقِ سترىٰ إنسانـًا صادقـًا في أقوالهِ وأفعاله، رحيمـًا رفيقـًا في تصرفاته، حليمـًا حكيمـًا في مواقفه، سخيـًا جواداً بنفسهِ وماله، متواضعـًا مع إخوانه، دائمَ البشر، طيبَ النفس، بعيداً عن كلِّ صورِ: الكبرِ والعجبِ والفخرِ والبغي والحسدِ والبخلِ والجبن، سليمَ الصدر، فلا انفكاك

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٢٥).

في إصلاحِ الفرد عن بناءِ الإيمانِ والأخلاق.

فصلاحُ الفردِ هو أساسُ إصلاحِ المجتمع؛ لأن الفردَ المتخلقَ بمكارمِ الأخلاقِ سيؤدي ما عليه من حقوقِ اللّه عز وجل، وحقوقِ الناس، فإن كان عاملاً كان أميناً في حرفته، وإن كان موظفاً كان مقدراً لمسؤوليته، وإن كان حاكماً كان متقياً للّه في رعيته، وإن كان زوجاً كان مكرماً لزوجته، وإن كان قاضياً كان عادلاً في قضائه، وإن كان تاجراً كان صادقاً في تعامله، وهكذا سائرُ الميادين؛ بل بالأخلاقِ ستجد إنساناً سوياً صبوراً على أقدار الله ومشاق الحياة، ومتأنياً في سائر أمور الحياة، وقنوعاً بما قسم الله له، راضياً بقضاء الله وقدره، محباً الخيرَ للناسِ كما يحبُ لنفسه، ليس حقوداً، ولا سيء الظن بالناس، ولا غاشاً ولا ظالماً ولا كذاباً إلى غير ذلك.

المجال الثاني: في المجال الأسري:

أساسُ بناءِ الأسرةِ يقومُ على الأخلاقِ، ولهذا جعل النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أساسَ الاختيارِ قائماً على الأخلاق، فقال: «إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ»، قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»[1]، وأساسُ العشرةُ الزوجيةُ قائمٌ على الأخلاق، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن

(١) رواه الترمذي ح رقم (١٠٨٥)، وقال: حديث حسن غريب وأبو حاتم المزني له صحبه ولا نعرف له عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير هذا الحديث، والبيهقي في السنن الكبرى ح رقم (١٣٨٦٣)، والطبراني في المعجم الكبير ح رقم (٧٦٢)، وحسَّنه الألباني في إرواء الغليل برقم (١٨٦٨).

﴿تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ١٩].

فالتعاملُ الأسري الراقي الذي ننشدُه في التعاملِ بين الزوجين، ومع الآباء والأرحام لا يتصورُ قيامُه واكتماله إلا في منظومةِ الأخلاقِ الإسلاميةِ التي يندرُ لها مثيلٌ في هذا الباب، ولك أن تتأمل في بناءِ الحياةِ الزوجية في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، فمن لم يتربىٰ علىٰ خلُق الإسلام كيف نجد عنده هذه القيم الأخلاقية الراقية من الإحسان والمعروف، والعدل وغيرها، وفي أساسِ التعاملِ مع الوالدين في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء: ٢٣- ٢٤]، وفي أساسِ التعاملِ مع الأرحام في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، مما أوجبه في حقِّهم من الصلة، وحسن العشرةِ وغيرها.

المجال الثالث: في المجال السياسي:

جاء الإسلامُ والحياةُ السياسيةُ تعجُّ بكلِّ صورِ الظلمِ والفسادِ والطغيان، انقسمَ الناسُ فيها إلىٰ سادةٍ وعبيد، وقاهرٍ ومقهور، وظالمٍ ومظلوم، وقاتلٍ ومقتول، الأعراضُ منتهكة، والدماءُ مسفوكة، والأموالُ منهوبة، والقلوبُ متفرقة، فجاء الإسلامُ فأقامَ العدلَ، وردّ المظالمَ، وحفظَ الأماناتِ، ونهىٰ عن

العداوات، وألّفَ بين القلوبِ المختلفة، وأنشأ مجتمعًا متكافلاً متراحمًا، فرعىٰ اليتيم، وحضَّ علىٰ إطعامِ المسكين، وأقامَ الحياةَ علىٰ الصدقِ والبرِ والمسؤولية، وصدق فيهم قول النبيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَرَىٰ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَىٰ عُضْوًا تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ»[1]، بل راعىٰ حتىٰ حقوقَ غيرِ المسلمين، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء:٥٨]، وقال تعالىٰ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨]، وحرّمَ كلَّ صور الفسادِ المالي من خلال السلطةِ، فقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨]

فكم من دولةٍ زالت يوم فسدَ نظامُها السياسي في الجانب الأخلاقي، بل أحيانًا سوءُ البطانةِ يكون سببًا لفسادِ دولةٍ كاملة، فلا يمكن تصور صلاح سياسي لا تسود فيه قيم الصدق والعدل والأمانة وغيرها، ففي ظل هدم منظومة القيم الأخلاقية تهدم الدول مباشرة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: الأدب، باب: رَحْمَةَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ ح رقم(٦٠١١)، ومسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ح رقم (٦٦).

المجال الرابع: في المجال الاقتصادي:

للأخلاقِ دورُها العظيمُ في مجالِ الإصلاحِ والارتقاءِ الاقتصادي، فالإسلامُ بنىٰ الحياةَ في هذا الجانبِ علىٰ الأخلاقِ، فأقامَ أساسَ التعاملِ المادي علىٰ الصدقِ والسماحة، فنهىٰ عن كلِّ صورِ الغشِ في المعاملات، وحارب كلَّ صورِ التطفيفِ والظلمِ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا﴾ [الإسراء: ٣٥]، وحاربَ الإسرافَ، قال تعالىٰ: ﴿وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، فقد جاء في صحيح البخاري ومسلم عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، أَوْ قَالَ: حَتَّىٰ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا» [(١)]، ونهىٰ عن كلِّ صورِ الفسادِ من الربا والرشوةِ وغيرهما مما يمكن أن يهدمَ أي اقتصادٍ قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٢٩ - ٣٠]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩]، فلا يمكن تصورُ اقتصادٍ سليمٍ في غيابِ الأخلاقِ التي دعا إليها الإسلام،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: البيوع، باب: إِذَا بَيَّنَ الْبَيِّعَانِ وَلَمْ يَكْتُمَا وَنَصَحَا، ح رقم (٢٠٧٩)، ومسلم في صحيحه في كتاب: البيوع، باب: الصِّدْقِ فِي الْبَيْعِ وَالْبَيَانِ ح رقم (٣٩٣٧).

وكم من أمة انهارت يوم لم تراعِ هذا الجانب، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هود: ٨٤ – ٨٥]، وقال تعالىٰ عن مصيرهم: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود: ٩٤ – ٩٥].

المجال الخامس: في المجال الصناعي والحِرَفي:

الإسلامُ شجعَ علىٰ العملِ، ونهىٰ عن التسولِ والعجزِ والكسل، فقد جاء في صحيح البخاري ومسلم عن أَنَسِ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ...»[1].

وجاء في صحيح البخاري أيضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ ثُمَّ يَغْدُوَ أَحْسِبُهُ قَالَ: إِلَىٰ الْجَبَلِ فَيَحْتَطِبَ فَيَبِيعَ فَيَأْكُلَ وَيَتَصَدَّقَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ»[2]، وفي الرواية الأخرىٰ أيضًا في البخاري: «قَالَ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: الجهاد والسير، باب: مَا يُتَعَوَّذُ مِنْ الْجُبْنِ،ح رقم (٢٨٢٣)، ومسلم في صحيحه في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة، باب: التَّعَوُّذِ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَغَيْرِهِ ح رقم (٧٠٤٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: الزكاة، باب: قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾،ح رقم (١٤٨٠).

عَلَىٰ ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا فَيَكُفَّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ».

وفتح المجال أمام العقول لتصنع وتبتكر، وتعد ما في وسعها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠] أي: تعد ما في وسعها في شتىٰ المجالات الصناعية والزراعية والإدارية وغيرها.

وحثَّ علىٰ الصدقِ والإخلاصِ والأمانةِ والإتقان في العملِ، قال تعالىٰ: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥]، وقال ﷺ: «إنّ الله يُحِبُّ إذا عَمِلَ أحَدُكُم عَمَلاً أنْ يُتْقِنَهُ»[(١)]، فهدم الأخلاق يعني هدم جودة الصناعة.

المجال السادس: في المجال المهني:

للأخلاقِ دورٌ مهمٌ في مجالِ المهن، فكلُّ مهنةٍ تحتاجُ إلىٰ أخلاقياتٍ معينةٍ غير تلك الجوانبِ العامةِ في الأخلاق، فالطبُ مثلاً يحتاجُ مع الصدقِ والأمانةِ إلىٰ التواضعِ والرحمةِ، والرفقِ بالمرضىٰ، وحسنِ تقدير المسؤولية، وحفظِ الأسرار التي يبيحُ بها المرضىٰ، وصدقِ النصح وغيرها، ومثلاً المهن القانونية تحتاج إلىٰ العدل، والتثبت، وعدمِ الجدالِ بالباطل، أو التهاونِ في حقوقِ الخلق وغيرها.

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ح رقم (٨٩٧)، والبيهقي في شعب الإيمان ح رقم (٥٣١٢)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف الجامع ح رقم (١٨٨٠).

وما من مهنة إلا وجَّه القرآن الكريم لها موجهات أخلاقية، ففي مهنة القضاء قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء: ٥٨]، وفي مهنة التجارة قال تعالىٰ مثلا: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ١ – ٦]، وفي مهنة التعليم قال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، وغيرها.

المجال السابع: في المجال الدعوي:

للأخلاقِ دورٌ وأثرٌ كبيرٌ في نجاحِ وارتقاءِ العملِ الدعوي، فهو من أعظمِ أسبابِ انتشارِ الدعوةِ الإسلامية، ومن أعظمِ مقوماتِ بقائِها وتماسكها، فحسنُ الخلقِ الذي تحلَّىٰ به المسلمون الأوائلُ من: الرحمةِ، والرفقِ، والسماحةِ، والإحسانِ، والكلمةِ الطيبة، والعدلِ وغيرِ ذلك من الأخلاقِ الحميدة، هي من أعظمِ ما ساعدَ علىٰ انتشارِ الإسلامِ في الآفاقِ وبلغَ مشارقَ الأرضِ ومغاربِها، وسادت حضارتُه وتعاليمُه في الناس.

وقد روىٰ لنا التاريخُ أن كثيراً من الشعوبِ في شرق أفريقيا ووسطها كالنوبة والبربر، وجنوبِ شرق آسيا، كشعوبِ الفلبين وماليزيا وإندونيسيا وغيرهم، دخلوا في الإسلامِ نتيجةِ احتكاكِهم بالمسلمين، وتعرفِهم علىٰ أخلاقِهم الفاضلة التي كانوا يتعاملون بها معهم، مما جعلَهم يتأثرون بأخلاقِهم، ويتأسون بهم، الأمر الذي أدىٰ إلىٰ دخولِهم في دين الإسلام جملةً

من غيرِ إكراهٍ ولا قتال، ولا شك أن الفطرَ السليمة تهتدي إلىٰ الخيرِ، وتنجذبُ إلىٰ ما يدعو إلىٰ الفضائلِ والمكارم، ولهذا قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ لرسولهِ الكريم: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال تعالىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٥ - ١٢٨]، فالخشونةُ والجفاءُ والغلظةُ قد يخسرُ بها الداعية أضعافَ ما يربح.

وأن أسلافَنا لم ينجحوا في مهمتِهم الدعويةِ إلا بأخلاقِهم السامية، وأن المسلمين اليوم لو تشبعوا بأخلاقِ القرآن لسادَ الإسلامُ في العالمِ، ولدخلَ الناسُ في دينِ اللّه أفواجا؛ ولو أننا أظهرنا بأفعالِنا وسلوكِنا مكارمَ الأخلاقِ الإسلاميةِ وكمالها لدخل أتباعُ الأديانِ الأخرىٰ في الإسلامِ جماعاتٍ وأفواجا.

فلننظرْ إلىٰ خلقِ العفو كيف يفعلُ في قلوبِ الرجال، كما جاء في الحديث المتفقِ عليه عنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِىٰ سَعِيدٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْلاً قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِىٰ حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ» فَقَالَ: عِنْدِي يَا مُحَمَّدُ

خَيْرٌ إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَىٰ شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ. فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ كَانَ بَعْدَ الْغَدِ فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ». قَالَ مَا قُلْتُ لَكَ إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَىٰ شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ. فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ كَانَ مِنَ الْغَدِ فَقَالَ: «مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ». فَقَالَ عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَىٰ شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ». فَانْطَلَقَ إِلَىٰ نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، يَا مُحَمَّدُ وَاللهِ مَا كَانَ عَلَىٰ الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلاَدِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَىٰ، فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ أَصَبَوْتَ؟ فَقَالَ: لاَ وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلاَ وَاللهِ لاَ يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّىٰ يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(١).

قال الحافظُ ابنُ حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في الفتح في بيانِ فوائد الحديث: « وتعظيمُ أمرِ العفوِ عن المسيء؛ لأن ثمامةَ أقسمَ أن بغضَه انقلبَ حبًّا في ساعة واحدة؛ لما أسداه النبيُّ من العفو والمنّ بغيرِ مقابل »(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: الصلاة، باب: الِاغْتِسَالِ إِذَا أَسْلَمَ وَرَبْطِ الْأَسِيرِ أَيْضًا فِي الْمَسْجِدِ، ح رقم (٤٦٢)، ومسلم في صحيحه في كتاب: الجهاد والسير، باب: رَبْطِ الأَسِيرِ وَحَبْسِهِ وَجَوَازِ الْمَنِّ عَلَيْهِ، ح رقم (٤٦٨٨).

(٢) فتح الباري (٨/ ٨٨).

المجال الثامن: في المجال التعليمي:

الأخلاق لها دورُها العظيمُ في المجالِ التعليمي، فإذا أردت أن تحكمَ علىٰ مستقبلِ أمةٍ ما أبحث عن قيمِها الأخلاقيةِ في منظومتِها التربويةِ التعليمية، فإن غيابَ الأخلاقِ أو ضعفَها في المناهجِ التعليميةِ، أو المعلمِ الذي هو الواسطةُ لنقلِ المعارفِ والمهاراتِ للمتعلمِ؛ تؤثرُ بصورةٍ كبيرةٍ علىٰ المخرجاتِ التعليمية، ويؤدي إلىٰ مشاكلَ كبيرةٍ أثناءِ سيرِ العمليةِ، تؤثرُ علىٰ المعلمِ والمتعلم، والبيئةِ المحيطةِ بالمؤسساتِ التعليمية.

فالمعلمُ في منظومةِ التعليمِ الإسلامي ينظرُ إليه بأنه قدوةٌ ومربي، وصاحبُ رسالةٍ ومسؤولية، يقوِّمُ المعوجَّ، ويكملُ النقصَ؛ وأنه يحظىٰ بمكانةٍ كبيرة في عينِ طلابهِ؛ ولذا يفترضُ أن يكونَ دائماً مثالاً لطلابهِ في قولهِ وفعله، مؤثرا عليهم من خلالِ أقوالهِ وأفعالهِ وحركاتهِ وسكناته، فكيف يتحدثُ لهم عن الصدقِ ويؤثرُ عليهم بحديثهِ وهم يرونَه كاذباً، أو ينهاهُم عن قبيحٍ وهو له فاعل، والطالبُ ينظرُ لفعلِ المعلم قبل قوله؛ ولذا استقامةُ أخلاقِ المعلم تؤدي إلىٰ استقامةِ الطالب، والعكسُ بالعكس.

كما أن الأستاذَ بحسنِ خلُقهِ مع طلابهِ يمكن أن يحببَ إليهم علمَه، أو أن ينفرهم عنه، وعن المادةِ التعليمية بسببِ سوءِ خلقه، وإذا بحثت عن سرِ نجاحِ أي معلم، وسببِ محبةِ طلابهِ له دون غيرِه تجده منحصراً في سببين، الكفاءةُ العلميةِ والمهنية، وحسنُ خلقهِ مع طلابه.

كما أن المعلمَ الناجحَ هو الذي يصنعُ الطالبَ الناجح، فكم من معلمٍ أثَّر علىٰ طلابهِ وغيَّر مجرىٰ حياتِهم بسببِ كلمةٍ طيبةٍ مشجعة، أو حسنِ

تصرفٍ معهم في موقفٍ تربوي غيرِ لائق، وكم من معلمٍ أثَّر علىٰ طلابهِ سلبًا في حياتِهم بسببِ ألفاظٍ نابية، أو أفعالٍ غيرِ لائقةٍ يرفضُها العقلُ والشرع، فالمعلمُ الناجحُ هو الذي تخلقَ بالخلقِ الكريم، اقتداءً بمعلمِ الإنسانيةِ، صاحبِ الخلقِ العظيم.

كما أن نجاحَ أيِّ طالبٍ مرتبطٌ باستقامتهِ في دينهِ وخلقهِ وفكره، والانحرافُ في الأخلاقِ من أعظمِ أسبابِ الفشلِ الدراسي للطالب، وهذا قد ثبت من خلال الدراساتِ والتجاربِ والملاحظةِ، حيث وجدوا ارتباطًا كبيراً بين الانحرافاتِ الأخلاقية من: مخدراتٍ، أو علاقاتٍ محرمة، أو معاصٍ أخرىٰ من تدخين وغيرِها؛ وبين فشلِ الطالب في حياته، وصرفه عن غايته التعليمية، وخيرُ علاجٍ لمثلِ هذه الحالاتِ ارجاعُهم للأخلاقِ الحسنة، فالحفاظُ علىٰ أخلاقِ الطالب يعني النجاحَ في العمليةِ التعليمية التربوية التي ينشدُها أي مجتمع، لأن الخلقَ هو سيدُ الانضباطِ الذي لا تقومُ ولا تنجحُ أيُّ عمليةٍ تعليميةٍ إلا به، كما أن روحَ المخالقةِ الكريمةِ بين الطالبِ وزملائهِ وأساتذتهِ هي خيرُ محفزٍ له للانتماءِ إلىٰ البيئةِ التعليميةِ، والتفاعلِ مع برامجِها المتنوعةِ التي تنعكسُ مباشرةً علىٰ الأسرةِ والمجتمع.

وبناءً علىٰ ما سبقَ فلا انفكاكَ بين التعليمِ والأخلاق، كما لا يمكن تحقيقُ نهضةٍ شاملةٍ لأيِّ مجتمعٍ دون تعليمٍ فاعل، فالتربيةُ الأخلاقيةُ هي أساسُ نتاجِ مخرجاتِ العمليةِ التعليمية؛ لأن مقصدَ العمليةَ التعليمة في نهايتِها بناءُ وتكوينُ شخصيةِ المتعلم في مختلفِ الاتجاهاتِ الإيمانيةِ والأخلاقيةِ والمعرفيةِ والمهاريةِ، خاصة في هذا العصرِ المنفتحِ علىٰ الحضاراتِ

والثقافاتِ الأخرىٰ بصورةٍ يصعبُ السيطرةُ عليها، مما يتطلبُ بناءَ شخصيةٍ راسخةِ القيمِ تستطيعُ التمييزَ لما يفد إليه من أصحابِ الثقافات الأخرىٰ، من معارفَ ومبادئ وسلوكيات وأفكار قد تتعارضُ مع قيمنا وأخلاقنا.

المجال التاسع: في المجال الإنساني:

حيث حث الإسلام علىٰ حسن التعامل والإحسان ليس مع الإنسان فحسب؛ بل حتىٰ مع الحيوانات التي لا تعقل، فحث علىٰ الرحمة بها، والرفق في معاملتها، والإحسان إليها، كما جاء في صحيح البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِىٰ بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَىٰ مِنَ الْعَطَشِ فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِىٰ كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّىٰ رَقِيَ فَسَقَىٰ الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ»، قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنَّ لَنَا فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ لأَجْرًا؟ فَقَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»[١].



(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: المساقاة، باب: فضل سقي الماء، ح رقم (٢٢٣٤)، ومسلم في صحيحه في كتاب: السلام، باب: فَضْلِ سَاقِي الْبَهَائِمِ الْمُحْتَرَمَةِ وَإِطْعَامِهَا، ح رقم (٥٩٩٦).



القسم الثاني

الجانب التطبيقي في بناء الأخلاق

المبحث الأول: الطرق المعينة لاكتساب الأخلاق الحسنة.

المبحث الثاني: معوقات في طريق بناء الأخلاق الحسنة.

المبحث الثالث: نماذج مشرقة في بناء الأخلاق الحسنة.

المبحث الرابع: ثمرات بناء الأخلاق الحسنة للفرد والمجتمع.





المبحث الأول
الطرقُ المعينةُ لاكتسابِ الأخلاق الحسنة

الأخلاقُ تكتسب، وهناك طرقٌ متعددةٌ لاكتسابِ الأخلاق الحسنة، من ذلك:

الإيمانُ الصحيح:

السلوكُ ثمرةٌ لِما يحملُه الإنسانُ من معتقد وفكرٍ يَدين به، والانحرافُ في السلوكِ ناتجٌ في الغالبِ عن خَلَلٍ في المعتقد؛ ومن هنا كان أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنَهم أخلاقا؛ فإذا صحت العقيدة، حسُنَتِ الأخلاقُ تبعًا لذلك؛ فالعقيدةُ الصحيحةُ تحملُ صاحبَها علىٰ مكارمِ الأخلاق، كما أنها تردَعُه عن مساوئِ الأخلاق، وكلُّ ما حكاه القرآن عن انحرافاتِ أقوامٍ مضت سببُه فسادُ المعتقد.

كما أن الإيمانَ هو خيرُ دافعٍ للتخلقِ بالخلقِ الكريم، لأنه سيقبلُ علىٰ الأخذِ بها بنفسٍ منشرحة، وجوارحَ متسابقة، متعبداً للهِ من خلالِ التخلقِ بها في الناس.

كما أن الإيمانَ يصرفُ عن سوءِ الأخلاقِ قال تعالىٰ عن يوسف عليه السلام:
﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف: ٢٤].

التعليم:

العلمُ هو أساسُ الرفعةِ والرقي، وبقدرِ معرفةِ الإنسانِ لفضائلِ الأخلاقِ الحسنة يكون حرصُه عليها، وبقدرِ معرفتهِ لعواقبِ الأخلاقِ السيئة يكون فرارُه منها، وقد جاءت الأدلةُ الكثيرةُ في الكتابِ والسنةِ التي تدعو للتحلي بمكارمِ الأخلاق، بل ذكرت نماذجَ في تعليمها، قال تعالىٰ: ﴿ يَـٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ۝١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ۝١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾ [لقمان: ١٧ – ١٩].

وقد جاء في البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ سُلَامَىٰ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَىٰ دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَىٰ الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الْأَذَىٰ عَنْ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»[(١)].

والتعلمُ يكون لما جاء في الكتابِ والسنةِ في بابِ الأخلاقِ، فهما المصدرُ لكلِّ خلقٍ حسن، ولا يكفي مجردُ التعليمِ؛ بل لابدَ من التذكيرِ والتواصي به مطلوب في كل وقت قال تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴾ [البلد: ١٧].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: الجهاد والسير، باب: من أخذ بالركاب ونحوه، ح رقم (٢٨٢٧)، ومسلم في صحيحه في كتاب: الزكاة، باب: بَيَانِ أَنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَىٰ وَأَنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْفِقَةُ وَأَنَّ السُّفْلَىٰ هِيَ الآخِذَةُ، ح رقم (٢٤٣٣).

والتعليمُ في المواضعِ التي تحتاجُ لذلك أفضلُ من غيرِها، وقد جاء في الصحيحين عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا حَكِيمُ إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَىٰ»، قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّىٰ أُفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يَدْعُو حَكِيمًا إِلَىٰ الْعطَاءِ فَيَأْبَىٰ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَىٰ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أُشْهِدُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ حَكِيمٍ أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الْفَيْءِ فَيَأْبَىٰ أَنْ يَأْخُذَهُ، فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنْ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حَتَّىٰ تُوُفِّيَ» (١).

الدعاءُ:

الدعاءُ من أعظمِ الأسبابِ المعينةِ لحسنِ الخلقِ؛ ولذا علىٰ العبدِ أن يسألَ اللهَ أن يرشدَه لصوابِ الأخلاق، ويوفقَه للتخلقِ بها، وقد جاء في صحيح مسلم عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ قَالَ: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: الزكاة، باب: الاستعفاف في المسألة، ح رقم (٢٩٨٩)، ومسلم في صحيحه في كتاب: الزكاة، باب: بيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَىٰ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ، ح رقم (٢٣٨٢).

شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ. أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ لاَ يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لاَ يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»[١].

وكان يقول: «اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بك مِن منكَراتِ الأخلاق والأعمالِ والأهواءِ والأدواء»[٢].

«الأخلاقُ المنكرة، كالعجبِ، والكبرِ، والخيلاءِ، والفخرِ، والحسدِ، والتطاولِ، والبغي، ونحو ذلك، والأعمالُ المنكرة، كالزنى، وشربِ الخمر، وسائر المحرمات، والأهواءُ المنكرة، كالاعتقاداتِ الفاسدة، والمقاصدِ الباطلة، والأدواءُ المنكرة، كالبرصِ، والجنُونِ والجذام، وسيِّء الأسقام»[٣].

وقد قال الشاعر:

إذا كان عـونُ اللهِ للمـرءِ شـاملاً　　تهـيّء لـه مـن كلِّ شـيءٍ مـرادُه

وإن لـم يكـن عـونٌ مـن اللهِ للفتـى　　فـأول مـا يجنـي عليـه اجتهـادُه

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: صلاة المسافرين، باب: الدُّعَاءِ فِي صَلاَةِ اللَّيْلِ وَقِيَامِهِ، ح رقم (١٨٤٨).

(٢) رواه الترمذي في سننه ح رقم: (٣٥٩١)، وقال: حديث حسن غريب، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (١٢٩٨).

(٣) تطريز رياض الصالحين للمبارك الحريملي (٢/ ٢٩٣).

الاقتداءُ بخيارِ الخلق:

أمرَ اللهُ عبادَه في كتابِهِ بالاقتداءِ بخيارِ الخلقِ من الأنبياءِ والصالحين، قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال تعالىٰ عن الأنبياء: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الممتحنة: ٦]، وقال تعالىٰ بعد ذكرِ خمسةٍ وعشرين نبيًا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠]، ومعرفةُ سيرُ العلماءِ والفضلاءِ والأخيارِ من الناس من الأمورِ التي تعلو بها الهمة، وتدعو للتخلقِ بأخلاقهم.

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الاشتغالَ بالفقهِ وسماعِ الحديث لا يكاد يكفي في صلاحِ القلب، إلا أن يُمزجَ بالرقائق، والنظرِ في سيرِ السلفِ الصالحين، لأنهم تناولوا مقصودَ النقل، وخرجوا عن صورِ الأفعال المأمور بها إلىٰ ذوقِ معانيها، والمرادِ بها...إلىٰ أن قال: «وقد كان جماعةٌ من السلفِ يقصدون العبدَ الصالحَ للنظرِ إلىٰ سمتهِ وهديه، لا لاقتباسِ علمه؛ وذلك أن ثمرةَ علمهِ هديُه وسمتُه، فافهم هذا، وامزجْ طلبَ الفقهِ والحديثِ بمطالعةِ سيرِ السلف والزهادِ في الدنيا، ليكون سببًا لرقةِ قلبك»[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ واصفًا أهل السنة والجماعة: « ثُمَّ هُم مَّعَ هَٰذِهِ الأُصُولِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَونَ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَىٰ مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ: وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَالْجُمَعِ وَالأَعْيَادِ مَعَ الأُمَرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا

(١) صيد الخاطر (ص: ١٢٨).

أَوْ فُجَّارًا، وَيُحَافِظُونَ عَلَىٰ الْجَمَاعَاتِ، وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ للأُمَّةِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ؛ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» [(١)]، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بُالْحُمَّىٰ وَالسَّهَرِ»[(٢)]. وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْبَلاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ. وَيَدْعُونَ إِلَىٰ مَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»[(٣)]، وَيَنْدُبُونَ إِلَىٰ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالإِحْسَانِ إِلَىٰ الْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ. وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ، وَالْخُيَلاءِ، وَالْبَغْيِ، وَالاسْتِطَالَةِ عَلَىٰ الْخَلْقِ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخْلاقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا، وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الإِسْلامِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» [(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، ح رقم (٤٨١)، ومسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ح رقم (٢٥٨٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ح رقم (٢٥٨٦).

(٣) سبق تخريجه (ص ٢٥).

(٤) مجموع الفتاوىٰ (٣/ ١٥٨).

معرفةُ فوائدِ حسن الخُلُق:

فإن معرفةَ ثمراتِ الأشياء، واستحضارَ حُسنِ عواقبِها من أكبرِ الدواعي إلىٰ فعلِها، وتمثُّلِها، والسعي إليها، والمرءُ إذا رغِب في مكارمِ الأخلاق، وأدرك أنها من أولىٰ ما اكتسبته النفوس، وأجلُّ غنيمة غنِمها الموفَّقون، سهُل عليه نيلُها واكتسابها.

فإذا علمَ أن الكلمةَ الطيبةَ مفتاحُ القلوب، والتواضعَ سببُ الرفعة، والعطاءَ سببُ الزيادةِ والبركة، وغضَ الصوتِ أجملُ من الصراخ، وكظمَ الغيظِ أفضلُ من إظهارِه، وسترَ العيوبِ أكرمُ من نشرها، والأدبَ عنوانُ الأخيار، والصدقَ نورُ الوجه، والإخلاصَ مفتاحُ التوفيق، والإحسانَ سترُ التفوق، والعفوَ راحةُ البال، وحفظَ الأمانةِ شرفُ النفوس، والحلمَ خلقُ الرجال، والوفاءَ شيمُ الأبرارِ والصالحين، وغير ذلك، كان ذلك من أعظمِ الدوافعِ للتخلق بالأخلاق الحسنة، وقد بيّن القرآنَ فوائد كثير من الأخلاق، كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١]، ولهذا كان النبيُّ ﷺ يبين لأصحابِهِ فوائدَ حسن الخلق، فقد جاء في صحيح مسلم عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ»[1].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: اسْتِحْبَابِ الْعَفْوِ وَالتَّوَاضُعِ، ح رقم (٦٧٥٧).

معرفةُ عواقبِ سوءِ الخُلق:

فإن معرفةَ عواقبِ الأشياء، واستحضارَ سوءِ عواقبها من أكبرِ الدواعي لتركها والتخلي عنها، فمن علمَ أن عاقبةَ الظلمِ الدمارُ، وعاقبةُ الكذبِ الفضيحةُ، وعاقبةُ التكبرِ الإذلال، وعاقبةُ الإسرافِ الإفلاسِ، وعاقبةُ الخيانةِ الخسران، وعاقبةُ البخلِ النقصانُ، وعاقبةُ الكلمةِ الخبيثةِ الشرُ والعداوات وغير ذلك، كان ذلك من أعظمِ الدوافعِ للتخلي عن الأخلاقِ السيئة؛ ولهذا يوسف عليه السلام لما دعته امرأة العزيز كان مدركـًا للعواقب، قال تعالىٰ: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]، وقال تعالىٰ عن موسىٰ عليه السلام: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧].

وقد بيّن القرآن الكريم عواقب كثير للأخلاق السيئة، فقال تعالىٰ عن عاقبة الظلم: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا﴾ [الكهف: ٥٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢]، وقال تعالىٰ: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، وغيرها.

وهذا الذي كان يفعلُه النبيُّ صلى الله عليه وسلم مع أصحابهِ حيث يبينُ لهم

عواقبَ التخلقِ بسوءِ الخلق، فعن عبدِ الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ!» فَقَالَ رَجُلٌ: إنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَناً، ونَعْلُهُ حَسَنَةً؟ قَالَ: «إنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ[1] وَغَمْطُ النَّاسِ[2]» [3].

وفي مسلم أيضـًا عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ. فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»[4].

تقويمُ النفسِ في بابِ الأخلاق:

من أعظمِ الأسبابِ المعينةِ للتخلقِ بمكارمِ الأخلاق تقويمُ النفسِ في بابِ الأخلاق، ومعرفةِ محاسنِها وعيوبها، فإن معرفةَ مكانِ الداءِ هو أولُ طرقِ العلاجِ.

وتقويمُ النفسِ يكونُ بمراجعتِها في كلِّ بابٍ من أبوابِ مكارمِ الأخلاق، أو بالمقارنةِ بين خُلُقِك وخُلُقِ الكرام من الناس، أو بعرضِ النفس على ما جاء في الكتابِ والسنة، وما وصفَ به عباده، أو أن يجعلَ الناسَ مرآةً لنفسه،

(١) بَطَرُ الحَقِّ: دَفْعُهُ وَرَدُّهُ عَلَى قَائِلِهِ.

(٢) غَمْطُ النَّاسِ: احْتِقَارُهُمْ.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الإيمان، باب: تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ، ح رقم (٢٧٥).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: البر والصلة والآداب، باب صِلَةِ الرَّحِمِ وَتَحْرِيمِ قَطِيعَتِهَا، ح رقم (٦٦٨٩).

فكلُّ ما كرَهه من خُلُقٍ أو نفرَ عنه نظرَ أين هو منه، وكلُّ ما أحبَه من الخُلُقِ واستحسنَه بحثَ عنه في نفسهِ وسلوكه، ومن هنا جاء الأمر بالاعتبار بمصيرِ تلك الأمم الصالحةِ والفاسدة كما قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

المجاهدةُ والتدريب:

إصلاحُ عيوبِ النفسِ وتداركِ خللها يحتاجُ إلىٰ مجاهدةٍ مستمرة؛ لأن النفسَ قد لا تنقادُ للخيرِ من أولِ وهلة، ولكن من صبرَ عليها، روَّضَها لكلِّ خُلُقٍ كريم انقادت له، كما قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، والمجاهدةُ تعني السعي المستمرَ للتقويمِ، خاصةً إذا ارتكبت أخلاقًا ذميمة، وحملَها علىٰ ألا تعودَ إليها مرة أخرىٰ.

وقد جاء في صحيح البخاري، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْصِنِي، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ»، فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ: «لَا تَغْضَبْ» (١).

وقد جاء في صحيح البخاري ومسلم عَنْ أَبِىٰ سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّىٰ إِذَا نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، قَالَ: «مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: الحذر من الغضب، ح رقم (٦١١٦).

مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ»[١].

فالاتصافُ بالجودِ يحتاجُ لمجاهدةٍ، وكظمُ الغيظِ، والعفوُ عن الناس، والإعراضُ عن الجاهلين يحتاجُ لمجاهدة، والتخلي عن ذكرِ عيوبِ الناس، وسوءِ الظنِّ بهم، والتجسسِ علىٰ عوراتهم يحتاجُ لمجاهدة، كما أن التحلي بالصدقِ وتركَ الكذب يحتاجُ لمجاهدة، وهكذا سائرُ الصفات.

الصبرُ وعدمُ اليأسِ والقنوط:

الصبرُ هو سيدُ الأخلاقِ، ومن رزقَ الصبرَ فقد رزقَ الخير، وقد جاء في الصحيحين عن النبيِّ ﷺ قوله: «وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ»؛ لأن الصبرَ يحملُ العبدَ علىٰ احتمالِ الأذىٰ، وكَظْمِ الغيظ، والحِلْمِ، والأناةِ، والرفقِ، وتركِ الطيشِ والعجلة وغيرها.

وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي شَيْءٍ تَطَلَّبَهُ وَاسْتَشْعَرَ الصَّبْرَ إِلَّا فَازَ بِالظَّفَرِ، ولهذا أوصىٰ اللهُ به كثيراً في كتابه، بل أمر بالاستعانةِ به في تحقيقِ المقاصد العليا، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، وقال عن أهل الجنة: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ [البلد: ١٧ – ١٨].

ومع الصبرِ ينبغي الحذرُ من اليأسِ والقنوط، فهناك مَن إذا ابتلي بمساوئِ الأخلاق، وحاولَ التخلُّص من عيوبهِ فلم يُفلح - أَيِسَ من إصلاحِ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الزكاة، باب لاَ صَدَقَةَ إِلاَّ عَنْ ظَهْرِ غِنًىٰ...ح رقم (١٤٢٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الزكاة، باب: فَضْلِ التَّعَفُّفِ وَالصَّبْرِ، ح رقم (٢٤٧١).

نفسه، وترَكَ المحاولة، وهذا الأمرُ لا يليقُ بالمسلم، بل ينبغي له أن يقوِّيَ إرادته، وأن يسعىٰ لتكميلِ نفسه، وأن يجدَّ في تلافي عيوبه؛ فكم من الناس مَن تبدَّلت حاله، وسمَتْ نفسُه، وقلّت عيوبه بسببِ مجاهدتهِ، وسعيهِ، وجدِّه، ومغالبتهِ لطبعه.

علو الهمة:

علو الهمةُ هو الذي يوصلُ للقمةِ، ويدفع للمعالي، والترفُّعِ عن الدنايا، ومحقراتِ الأمور، والناسُ ترفعُ أقدارُهم بحسبِ علو همتِهم؛ لأن الهمةَ العاليةَ لا تزالُ بصاحبِها تزجُرَه عن مواقفِ الذل، واكتسابِ الرذائل، وحرمانِ الفضائل[1]، حتىٰ ترفَعَه من أدنىٰ دركاتِ الحضيضِ إلىٰ أعلىٰ مقاماتِ المجد والسُّؤدَد؛ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن علَتْ همتُه، وخشعت نفسُه، اتصفَ بكلِّ خُلقٍ جميل، ومن دنت همتُه، وطغت نفسُه، اتصفَ بكلِّ خُلق رذيل»[2].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالنفوسُ الشريفةُ لا ترضىٰ من الأشياءِ إلا بأعلاها وأفضلِها، وأحمدِها عاقبة، والنفوسُ الدنيئةُ تحومُ حولَ الدناءات، وتقعُ عليها كما يقع الذبابُ علىٰ الأقذارِ؛ فالنفوسُ العليَّةُ لا ترضىٰ بالظُّلمِ، ولا بالفواحشِ، ولا بالسرقةِ، ولا بالخيانة؛ لأنها أكبرُ من ذلك وأجلُّ، والنفوسُ المَهِينةُ الحقيرةُ الخسيسةُ بالضدِ من ذلك، فكلُّ نفسٍ تميلُ إلىٰ ما يناسبُها ويشاكلُها، وهذا معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ [الاسراء: ٨٤]، أي علىٰ ما يشاكله ويناسبَه، فهو يعملُ علىٰ طريقته التي تناسبُ أخلاقَه وطبيعته»[3].

---

(١) ينظر: الهمة العالية معوقاتها ومقوماتها، للدكتور محمد إبراهيم الحمد (ص: ١١٥).

(٢) الفوائد (ص: ١٤٤).

(٣) المصدر السابق (ص: ١٩٦).

فالهمةُ العالية هي التي تُلزمُ أصحابَها بمكارمِ الأخلاق، وتَصنعُ فيهم الجدَّ في التخلقِ بها؛ بل تجعلُه ينشدُ المعالي فلا يرضىٰ من منقبة إلا بأعلاها، ولا يتخلقُ بخُلُقٍ إلا وطلب الزيادةَ عليه، وصاحبُ الهمةِ الدنيئةِ بعكسِ ذلك، متهرباً عن المسؤولية، بخيلاً بكلِّ ما لديه، منشغلاً بسفاسفِ الأمور، وتفاهةِ الأقوالِ والأفعال.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فينبغي للعاقلِ أن ينتهي إلىٰ غايةِ ما يمكنه؛ فلو كان يتصورُ صعودَ السماواتِ لرأيتُ من أقبحِ النقصِ رضاه بالأرضِ، ولو كانت النبوةُ تحصلُ بالاجتهادِ رأيتُ المقصرَ في تحصيلِها في حضيضٍ، غيرُ أنه إذا لم يمكن ذلك فينبغي أن يطلبَ الممكن، والسيرةُ الجميلةُ عند الحكماءِ خروجُ النفسِ إلىٰ غايةِ كمالِها الممكنِ لها في العلمِ والعمل»[1].

وقد قال المتنبي:

وَمَـنْ يَجِـدُ الطّرِيـقَ إلـى المَعَالـي ... فَـلا يَـذَرُ المَطِـيَّ بِـلا سَـنَامِ

وَلـم أرَ في عُيُـوبِ النّـاسِ شَـيْئًا ... كَنَقْـصِ القـادِريـنَ علـى التّمَـامِ

تكلُّف البِشْرِ والطَّلاقة:

من الأمورِ التي دعا إليها الإسلامِ وهي عنوانُ للأخلاقِ: الابتسامةُ والبِشْرُ والطَّلاقة، وتجنُّبُ العبوسِ والتقطيب، قال ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البشاشة إدامُ العلماء، وسجيَّةُ الحكماء؛ لأن البِشْرَ يُطفئ نارَ المعاندة، ويحرقُ هيجانَ المباغضة، وفيه تحصينٌ من الباغي، ومنجاةٌ من الساعي...وعن هشام بن

(١) صيد الخاطر (٢/ ٢٢٤).

عروة عن أبيه قال: «أُخبرتُ أنه مكتوبٌ في الحكمةِ: يا بني ليكن وجهُكَ بسطا، ولتكن كلمتُك طيبةً تكن أحبَ إلىٰ الناسِ من أن تعطيَهم العطاء»[(١)].

وقِيلَ لِلْعَتَّابِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنَّك تَلْقَىٰ النَّاسَ كُلَّهُمْ بِالْبِشْرِ، قَالَ: دَفْعُ ضَغِينَةٍ بِأَيْسَرِ مُؤْنَةٍ، وَاكْتِسَابُ إخْوَانٍ بِأَيْسَرِ مَبْذُولٍ»[(٢)].

قَالَ مَحْمُودٌ الْوَرَّاقُ:

أَخُو الْبِشْرِ مَحْمُودٌ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ ... وَلَمْ يَعْدِمْ الْبَغْضَاءَ مَنْ كَانَ عَابِسَا

وَيُسْرِعُ بُخْلُ الْمَرْءِ فِي هَتْكِ عِرْضِه ... وَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْجُودِ لِلْعِرْضِ حَارِسَا

وقال محمد بن حازم:

وما أكسبَ المحامدَ طالبوها ... بمثلِ البشرِ والوجهِ الطَّليقِ

وقد حثّ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ طلاقةِ الوجه فجعله من المعروفِ والصدقةِ، فقد جاء في صحيح مسلمٍ عَنْ أَبِىٰ ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَىٰ أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»[(٣)]. وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَبَسُّمُكَ في وَجْهِ أخيك لك صَدَقَةٌ...»[(٤)].

---

(١) روضة العقلاء (ص: ٤٠).

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح (٤/ ١٦٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: اسْتِحْبَابِ طَلَاقَةِ الْوَجْهِ عِنْدَ اللِّقَاءِ، ح رقم (٦٨٥٧).

(٤) رواه الترمذي في السنن، ح رقم (١٩٥٦)، وقال: حسن غريب، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع ح رقم (٢٩٠٨).

فالابتسامةُ تطلقُ في الحياةِ راحةِ وسعةِ وسعادةِ، فالمبتسمون المتفائلون هم الأقدرُ علىٰ العملِ، وتحملِ المسؤولية، وتخطي الصعابِ، وصناعةِ النجاح لهم ولغيرِهم، وهم أسعدُ الناسِ حالاً لأنفسهم ومن حولهم، وأجدرُ بالإتيانِ بعظائمِ الأمور التي تنفعهم، وتنفع الناس.

التغاضي والتغافل:

هو من أخلاقِ الأكابرِ من الناس، ومما يُعينُ علىٰ استبقاءِ المودَّةِ واستجلابها، وعلىٰ وَأْدِ العداوة، وإخلاءِ البغضاء من النفوس، وهو دليلٌ علىٰ سموِّ النفس وعلوها، يقول سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يزال التغافل من شيم الكرامَ»، ورَوَىٰ الْبَيْهَقِيُّ فِي مَنَاقِبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ زَائِدَةَ قَالَ: «الْعَافِيَةُ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ تِسْعَةٌ مِنْهَا فِي التَّغَافُلِ»، وقال الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فستر العيوب و التجاهل و التغافل عنها شيمة أهل الدين». وقال ابنُ الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ متحدثًا عن صلاح الدين الأيوبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وكان صبورًا علىٰ ما يكرَه، كثيرَ التغافل عن ذنوبِ أصحابه، يسمعُ من أحدِهم ما يكره ولا يُعلِمه بذلك، ولا يتغيَّرُ عليه، وبلغني أنه كان جالسًا وعنده جماعة، فرمىٰ بعضُ المماليك بعضًا بسرموز – يعني: بنعل – فأخطأته، ووصَلت إلىٰ صلاحِ الدين فأخطأته، ووقَعت بالقرب منه، فالتفت إلىٰ الجهة الأخرىٰ يُكلِّم جليسَه؛ ليتغافل عنها»[١].

وقد سئل حكيم: ما اللبيب؟ فقال: «الفطنُ المتغافل»[٢]، وقال الجاحظ:

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين لمحمد الغزالي (٢/ ١٧٨)، وأخطاء في أدب المحادثة والمجالسة لمحمد الحمد (ص: ٣١).

(٢) محاضرات الأدباء للأصفهاني (١/ ٦).

«قال محمد بن علي: صلاح شأنِ الدنيا بحذافيرها في كلمتين؛ لأنَّ صلاحَ شأن جميع الناس في التعايش والتعاشر وهو مِلء مِكْيَال؛ ثلثاه فطنة، وثلثه تَغَافل»[(١)].

وكان الشيخ محمد الأمين الشنقيطيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثيرَ التغاضي عن كثيرٍ من الأمور في حقِّ نفسه، وحينما يُسأَلُ عن ذلك كان يقولُ:

لَيْسَ الغَبِيُّ بِسَيدٍ في قَوْمِهِ لكنَّ سيِّد قومهِ المُتغابي[(٢)]

الإعراضُ عن الجاهلين:

من الأمورِ التي أمرَ اللهُ تعالىٰ بها في كتابهِ الإعراضُ عن الجاهلين، قال تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

فمن أعرَض عن الجاهلين حمىٰ عِرْضَه، وأراحَ نفسه، وسلِمَ من سماع ما يؤذيه، فبالإعراضِ عن الجاهلين يحفظ الرجلُ علىٰ نفسه عزتَها، والعرب تقول: «إن من ابتغاء الخيرِ اتقاءَ الشرِّ»، ورُوي «أن رجلاً نال من عمرَ بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فلم يُجِبْه، فقيل له: ما يمنعك منه؟ قال: التقي مُلجَّمٌ»[(٣)].

العفو والصفحُ ومقابلةُ الإساءةِ بالإحسان:

فهذا سبب لعلوِّ المنزلة، ورِفعة الدرجة؛ قد حث الله تعالىٰ كثيراً عليه في كتابه، وقال النبيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وما زاد اللهُ عبدًا بعفو إلَّا عزًّا، وما تواضعَ أحدٌ لله

(١) زهر الآداب وثمر الألباب للحصري القيرواني (ص:٣١).

(٢) مع صاحب الفضيلة والدنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي لعطية محمد سالم (ص ٥٦).

(٣) أخرجه مالك في الموطأ برقم (٥٣)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم (٥٤٠٤).

إلا رفعه الله»[١]، وقال عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أحبُّ الأمور إلىٰ اللهِ ثلاثة: العفو عند المقدرة، والقصدِ في الجِدَة، والرِّفق بالعَبَدَةِ»[٢]. وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لمـاّ عَفَـوْتُ ولَـمْ أَحْقِـدْ عَلَـى أحـدٍ ... أَرَحْـتُ نَفْسِـيْ مِـنْ هَـمِّ العَـدَاوَاتِ

أنّـي أُحَيِّـيْ عَـدُوِّيْ عنـدَ رُؤْيَتِـهِ ... لأدفَـعَ الشـرَّ عَنّـي بالتَّحِيّـاتِ

وأُظْهِـرُ البِشْـرَ للإنسـانِ أُبْغِضُـهُ ... كأَنَّمَـا قـد مَـلأ قَلْبـي تحيّـاتِ

فإذا كان الأمرُ كذلك، فإنه يجدرُ بالعاقل - كما قال ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: «توطين نفسهِ علىٰ لزومِ العفو عن الناسِ كافة، وترك الخروجِ لمجازاة الإساءة؛ إذ لا سبَبَ لتسكين الإساءة أحسنُ من الإحسان، ولا سبب لنماءِ الإساءة وتهييجها أشدُّ من الاستعمال بمثلِها».

الرضا بالقليلِ من الناسِ، وترك مطالبتهم بالمثل:

وما يعينُ علىٰ اكتسابِ الأخلاقِ أن يأخُذَ من الناسِ ما سهُل عليهم، وطوّعت له به أنفسُهم سماحة واختيارًا، وألا يحملهم علىٰ العَنَتِ والمشقَّةِ؛ قال تعالىٰ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

سبّ الشعبيَّ رجلٌ، فقال له: «إن كنت كاذبًا يغفرُ اللهُ لك، وإن كنت صادقًا يغفرُ اللهُ لي»، وقَالَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ: «مَا نَازَعَنِي أَحَدٌ إِلَّا أَخَذْت فِي أَمْرِهِ بِإِحْدَىٰ ثَلَاثِ خِصَالٍ: إنْ كَانَ فَوْقِي عَرَفْت لَهُ قَدْرَهُ، وَإِنْ كَانَ دُونِي

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع، ح رقم (٢٥٨٨).

(٢) روضة العقلاء لابن حبان (ص: ٩٧).

كَرَّمْت نَفْسِي عَنْهُ، وَإِنْ كَانَ مِثْلِي تَفَضَّلْت عَلَيْهِ»، أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَىٰ مَحْمُودُ الْوَرَّاقُ فَقَالَ:

سَأُلْزِمُ نَفْسِي الصَّبْرَ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ ... وَإِنْ كَثُرَتْ مِنْهُ عَلَيَّ الْجَرَائِمُ

وَمَا النَّاسُ إِلَّا وَاحِدٌ مِنْ ثَلَاثَةٍ ... شَرِيفٌ وَمَشْرُوفٌ وَمِثْلٌ مُقَاوِمُ

فَأَمَّا الَّذِي فَوْقِي فَأَعْرِفُ فَضْلَهُ ... وَأَلْزَمُ فِيهِ الْحَقَّ وَالْحَقُّ لَازِمُ

وَأَمَّا الَّذِي دُونِي فَإِنْ قَالَ صُنْتُ ... عَنْ إِجَابَتِهِ عِرْضِي وَإِنْ لَامَ لَائِمُ

وَأَمَّا الَّذِي مِثْلِي فَإِنْ زَلَّ أَوْ هَفَا ... تَفَضَّلْتُ إِنَّ الْفَضْلَ بِالْعِزِّ حَاكِمُ[1].

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ٣١٥).



ضعفُ الإيمانِ وخللُ الاعتقاد:

سبقَ الحديثُ عن أهميةِ الإيمانِ ودورِه في بناء الأخلاق، وأن خللَ الاعتقادِ وضعفِ الإيمانِ يكون سبباً في الإخلال في بابِ الأخلاقِ، كما قال النبيُّ ﷺ كما جاء في الحديثِ المتفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»[1].

ولهذا كثيراً ما يربط الله تعالىٰ بين إصلاح المعتقد، وإصلاح الأخلاق في دعوة الأنبياء، قال تعالىٰ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٨٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب: النُّهْبَىٰ بِغَيْرِ إِذْنِ صَاحِبِهِ وَقَالَ عُبَادَةُ بَايَعْنَا النَّبِيَّ ﷺ أَنْ لَا نَنْتَهِبَ ح رقم (٢٤٧٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بَيَانِ نُقْصَانِ الْإِيمَانِ بِالْمَعَاصِي وَنَفْيِهِ عَنِ الْمُتَلَبِّسِ بِالْمَعْصِيَةِ عَلَىٰ إِرَادَةِ نَفْيِ كَمَالِهِ ح رقم (٢١١).

﴿لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ١ – ٦].

الجهل:

الجهل دائمًا يقودُ إلىٰ السوءِ، بل هو مقرونٌ به، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ١٧]، وقال تعالىٰ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

البيئةُ المنحرفةُ (الأسرة والمجتمع):

الأسرةُ والمجتمعُ لهما أثر ودور في فسادِ وصلاحِ الأخلاق والعقيدةِ، قال تعالىٰ عن نوحٍ عليه السلام: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا﴾ [نوح: ٢٧].

وكما جاء في الصحيحين عَنْ أَبِىٰ هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ». ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٢٠]»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: الصلاة، باب: إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ هَلْ يُصَلَّىٰ عَلَيْهِ وَهَلْ =

حبُّ الدنيا:

إن من أخطرِ ما يضرُّ الأخلاقِ، ويفسدُ السلوكَ، ويدمّرُ الفضائلَ حبَ الدنيا، فهو رأسُ كلِّ بليّة، فهو الذي يحملُ إلىٰ الغشِّ في التجارة، والخيانةِ في الأمانة، وبسببه تُنكث العهود، وتجحدُ الحقوق، ويقعُ الظلمُ، وتستباحُ المحرمات؛ بل من أجلِ حبِ الدنيا يقعُ الكذبُ والتزويرُ، وتداس القيم، ويباع الدين والشرف والعرض، ولهذا حذر الله تعالىٰ من عواقب إيثارِ الحياة الدنيا فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [لقمان: ٣٣]، وبيّن العاقبةَ فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [الأعراف: ٥١]، وقال تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [إبراهيم: ٣].

التشبه باليهودِ والنصارىٰ:

حذر الله تعالىٰ كثيراً من اتباعِ اليهودِ والنصارىٰ، خاصة في صفاتهم السيئة، فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى

= يُعْرَضُ عَلَىٰ الصَّبِيِّ الْإِسْلَامُ ح رقم (١٣٨٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب: القدر، باب: معْنَىٰ كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ وَحُكْمِ مَوْتِ أَطْفَالِ الْكُفَّارِ وَأَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ ح رقم (٦٩٢٦).

ﭐبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٧ - ٧٩].

وقد جاء في صحيح البخاري ومسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ» قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ، قَالَ: «فَمَنْ»(١).

ومن أعظمِ القبائحِ التي نسمعُها اليومَ الإشادةُ من البعضِ بأخلاقِ غيرِ المسلمين، وتشبهِ البعضِ بهم حتىٰ في مظهرِهم الخارجي.

أصدقاءُ السوء:

أصدقاءُ السوءِ وراءَ كلِّ انحرافٍ، وسببُ كلِّ حسرةٍ في الغالب، قال تعالىٰ: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

وقد جاء في الحديث المتفق عليه عَنْ أَبِىٰ مُوسَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ منه رِيحًا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأنبياء، باب: قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ح رقم (٧٣٢٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب: العلم، باب: تِّبَاعِ سُنَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ ح رقم (٦٩٥٢).

خَبِيثَةً»⁽¹⁾، فالحديثُ يحث علىٰ صحبةِ الأخيار الصالحين، ويحذرُ من صحبةِ الأشرار التي تجلبُ المضرةَ من جميعِ الوجوه علىٰ مَن صاحبَهم، فكم هلكَ بسببهم أقوام، ولهذا جاء في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «المرءُ علىٰ دِين خليله، فلينظرْ أحدُكُم مَن يُخَالِلْ»⁽²⁾.

عن إبراهيمَ بن الأشعث قال: سمعتُ الفضيل بن عياض يقول: «إذا خالطت فخالطْ حسنَ الخلقِ فإنه لا يدعو إلا إلىٰ خيرٍ، وصاحبُه منه في راحةٍ، ولا تخالط سيءَ الخلقِ، فإنه لا يدعو إلا إلىٰ شرٍ، وصاحبُه منه في عناء؛ ولأن يصحبني فاجرٌ حسنُ الخلقِ أحبُّ إليَّ من أن يصحبني قارئٌ سيءُ الخلقِ، إن الفاسقَ إذا كان حسنُ الخلق عاشَ بعقلِهِ، وخفَّ علىٰ الناسِ وأحبوه، وإن العابدَ إذا كان سيءُ الخلق ثقلَ علىٰ الناس ومقتوه»⁽³⁾.

اتباعُ الهوى:

الهوىٰ دائمـًا هو نقيض الحق والهدىٰ، واتباع الهوىٰ يقودُ إلىٰ كلِّ سوءٍ ومنكر، قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: البيوع، باب: فِي الْعَطَّارِ وَبَيْعِ الْمِسْكِ ح رقم (٢١٠١)، ومسلم في صحيحه في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: اسْتِحْبَابِ مُجَالَسَةِ الصَّالِحِينَ وَمُجَانَبَةِ قُرَنَاءِ السَّوْءِ ح رقم (٦٨٦٠).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ح رقم (٤٨٣٣)، والترمذي وحسنه ح رقم (٢٣٧٨)، وأحمد في المسند ح رقم (٨٠٥)، والحاكم في المستدرك ح رقم (٧٣٢٠)، وقال: صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف الجامع (١/ ٣٣١).

(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان (ص: ٤٣).

﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ [النساء: ١٣٥]، فانظر إلىٰ أثر الهوىٰ في الصد عن تحقيق العدل، وكما قال تعالىٰ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦]، ومن هنا جعل الله تعالىٰ الجنة بتحقق أمرين أحدهما نهي النفس عن الهوىٰ، قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ٣٧ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٣٨ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٣٩ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧ – ٤١].

اتباعُ الشهوات:

هنالك من أطلقوا العنانَ لشهواتهم، خاصةً شهوة البطن والفرج والمال والجاه، مما جعلهم في سبيل شهواتهم يهدمون كل ما يعارض ذلك من أخلاق وقيم، كما قال تعالىٰ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾ [محمد: ١٢].

اتباع ُخطواتِ الشيطان:

الشيطان هو عدونا الأول، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، وهو قائدُ خطوات البشرية إلىٰ السوء بشتىٰ الوسائل والسبل، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ

عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوٓءِ وَالْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨ - ١٦٩]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١]، ومن هنا كان اتباع وساوسه من أكبر الأضرار علىٰ دين المرء وخُلُقه، فبكَم سبب قامت عداوات وقطعت مودات، ووقعت ظنون سيئة، وهتكت دماء وأعراض.

عدمُ التفكيرِ في العواقب:

كثيراً ما يتحدث القرآن وهو يدعو إلىٰ مكارم الأخلاق عن عواقب الفجور وسوء الأخلاق ليتنبه لذلك العقلاءُ من الناس، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ١٧]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ١٠٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨]، وغيرها كثيرٌ حتىٰ ندركَ عاقبةَ سوءِ الأخلاق.

ومن ذلك أيضـًا: التصور القاصر لمفهوم العبادة والتدين، وإخراج باب الأخلاق من مفهوم العبادة، وطغيان الجانب المادي، وقلة البرامج التوعوية والأنشطة التي تعنىٰ بالجانب الأخلاقي، وقلة التربية الخُلُقية في المناهج التعليمية، وعدم سن أنظمة وقوانين تحافظ علىٰ القيم الأخلاقية.



النماذجُ الأولى: في الحلمِ والعفو:

الحلمُ والعفو عن المسيء، والدفعُ بالتي هي أحسن، والإعراضُ عن الجاهلين أخلاقُ الكبارِ الكرامِ من الناس، قال تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ [فصلت: ٣٤ – ٣٥]، وقال تعالىٰ عن خيرِ عباده: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان: ٦٣]، وقد وردَ في الكتابِ والسنةِ صورةٌ مشرقةٌ في هذا البابِ من ذلك:

حِلمُ إبراهيمَ عليه السلام مع سفهِ أبيه:

قال تعالىٰ: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ

ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴾ [مريم: ٤١ – ٤٧].

حيث كان أبوه نموذجًا لشدةِ الجفاءِ ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴾، وكان إبراهيم نموذجا في حسنِ الخُلُقِ والأدب ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴾.

حِلمُ يوسفَ عليه السلام مع إخوته:

* يظهرُ حسنُ خُلُقِهِ مع إخوتهِ في ثلاثةِ مواضعَ بارزةٍ، في كظمِ غيظه وهو قادرٌ علىٰ إمضائه، قال تعالىٰ: ﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ٧٧].

* في عفوهِ عنهم واعتذارِه لهم بعد أن عرَّفهم بنفسهِ وهو المحسنُ إليهم وهم المسيئون له، قال تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ

يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٨٨ – ٩٢].

❋ بعد أن أظهرَه الله عليهم، وجمعَه بهم وبأبويه، قال تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [يوسف: ٩٩ – ١٠٠].

حِلمُ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع قومه:

قد ضربَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أروعَ المثلِ في هذا الباب كما جاء في الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنها قالت للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَىٰ ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ[١]، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، وَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَنادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ الله تَعَالَىٰ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَد بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بما شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِع قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنا مَلَكُ الجِبال، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبِّي إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ

(١) قال النووي في شرح مسلم (٦/ ٣٣٤): «قرن الثعالب: هو قرن المنازل وهو ميقات أهل نجد».

أطْبَقْتُ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ[١]، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلْ أرْجُو أنْ يُخرِجَ اللهُ مِنْ أصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[٢].

وقد جاء في البخاري ومسلم أيضًا عن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنْتُ أمشي مَعَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرانيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فأدْرَكَهُ أعْرَابيٌّ فَجبذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شديدةً، فَنظَرْتُ إِلَىٰ صَفْحَةِ عاتِقِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أثَّرت بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُر لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذي عِنْدَكَ، فَالتَفتَ إِلَيْهِ، فَضَحِكَ ثُمَّ أمَرَ لَهُ بِعطَاءٍ»[٣].

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كأني أنظر إِلَىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأنبياءِ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُه عَلَيْهِمْ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، ويقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ»[٤].

وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»[٥] متفقٌ عَلَيْهِ.

---

(١) الأَخْشَبَان: الجَبلان المُحيطان بمكَّة، وَالأخشبُ: هُوَ الجبل الغليظ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحيه في كتاب: الجمعة، باب: إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ آمِينَ وَالْمَلاَئِكَةُ فِي السَّمَاءِ ح رقم (٣٢٣١)، ومسلم في صحيحيه في كتاب: الجهاد والسير، باب: مَا لَقِيَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَذَىٰ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ح رقم (٤٧٥٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: الخمس، باب: ما كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِي الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ وَغَيْرَهُمْ مِنَ الْخُمُسِ وَنَحْوِهِ ح رقم (٣١٥٠)، ومسلم في صحيحه في كتاب: الزكاة، باب: إِعْطَاءِ مَنْ سَأَلَ بِفُحْشٍ وَغِلْظَةٍ ح رقم (٢٤٧٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: الأنبياء، باب: حَدِيثُ الْغَارِ ح رقم (٣٤٧٧).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الخلق، باب: الْحَذَرِ مِنَ الْغَضَبِ ح رقم (٦١١٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضْلِ مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ =

النماذجُ الثانية: في العفةِ والطهر:

العفةُ والطهرُ من أعظمِ القيمِ الأخلاقية، وقد بيّن اللهُ لنا في كتابهِ نماذجَ مشرقةً في هذا الباب، من ذلك:

أ- يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز:

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [يوسف: ٢٣ – ٢٥].

هذا نموذجُ لأعظمِ صورةٍ في العفافِ والطهر، ولا تظهرُ معادنُ أخلاقِ الرجال إلا عند الابتلاءِ، ويظهرُ الابتلاءُ والتميزُ من عدةِ وجوه:

* امرأةُ العزيزِ هي السيدةُ المطاعةُ في أمرِها، والمقدمةُ في قومها، ويوسفُ عليه السلام هو العبدُ المطيعُ الخادم لها، والغريبُ عن وطنه، غيرُ عزيزٍ في هذا المجتمع.

* هي التي دعتْه وراودتْه بعدَ أن بلغَ حبُّه شِغافَ قلبِها، وقد بذلت الجهدَ في طلبه، بعد أن غلقت الأبوابَ وتهيأت له بكاملِ جمالِها وزينتها ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَ﴾، ويوسفُ عليه السلام

= وَبِأَيِّ شَيءٍ يَذْهَبُ الْغَضَبُ ح رقم (٦٨٠٩).

في ريعانِ شبابه، حيثُ بلغَ أشدَّه، وكان عزباً ليست له زوجة، حيث توفرت كلُّ الدواعي، وزالت كلُّ الموانعِ والمخاوف.

* هي مع جِمالها ذات منصب، فيوسفُ عليه السلام في دارِها، وتحت سلطانِها وقهرِها بحيث يخشىٰ إن لم يطاوعها من أذاها له، بل هددته بذلك، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢]، فاجتمع داعي الرغبة والرهبة.

* وهو مع كلِّ ذلك مستعصٍ عليها، يؤثرُ مرضاتِ اللهِ تعالىٰ علىٰ هوىٰ النفسِ، ويختارُ السجنَ علىٰ الزنىٰ، قال تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

ب- مريمُ عليها السلام:

وهي نموذجٌ آخرُ في الطهر، قال تعالىٰ عنها: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢].

والنموذجُ في قولهِ تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ١٦ - ٢١].

ج- لوطٌ عليه السلام مع قومه:

وهو نموذجٌ آخر في الطهرِ، حيثُ واجه وحدَه انحرافَ مجتمعٍ كاملٍ في أخلاقه، قال تعالىٰ: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠ – ٨٤].

النماذجُ الثالثة: في الكرمِ والإيثارِ والمروءةِ:

أ - في كرمِ إبراهيمَ عليه السلام والنبيِّ صلى الله عليه وسلم:

قال تعالىٰ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةًۖ قَالُواْ لَا تَخَفْۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٤ – ٢٨].

وقد جاء في صحيح مسلمٍ عَنْ مُوسَىٰ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَىٰ الإِسْلاَمِ شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ - قَالَ - فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَرَجَعَ إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِىٰ عَطَاءً لاَ يَخْشَىٰ الْفَاقَةَ» (١).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الفضائل، باب: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم شَيْئًا قطُّ فقَالَ لاَ، =

وجاء في صحيح البخاري عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ جُبَيْرٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ النَّاسُ مَقْفَلَهُ مِنْ حُنَيْنٍ فَعَلِقَهُ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّىٰ اضْطَرُّوهُ إِلَىٰ سَمُرَةٍ فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ فَوَقَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَعْطُونِي رِدَائِي لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلَا كَذُوبًا وَلَا جَبَانًا» (١).

ب - في إيثارِ الأنصارِ رضي الله عنهم:

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩]، فوصفَهم اللهُ تعالىٰ بثلاثِ صفاتٍ: الصفةُ الأولىٰ: كرمهم ومحبتهم للمهاجرين ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾، والصفةُ الثانية: سلامةِ صدورِهم بأنهم لا يحسدون إخوانِهم من المهاجرين فيما فضلَّهم اللهُ به من المنزلةِ والشرف ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾، والصفةُ الثالثة: ومن سعةِ كرمِهم وأخلاقِهم التي فاقوا بها غيرَهم وتميزوا بها عمن سواهَم أنهم قدّموا حاجةَ إخوانِهم علىٰ حاجتِهم، وهذا هو الإيثارُ الذي ذكرَه تعالىٰ في قولِهِ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، وهو أكملُ أنواعِ الجودِ والكرم.

فقد جاء في صحيحِ البخاري عن سببِ نزولها عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

= وَكَثْرَةِ عَطَائِهِ ح رقم (٦١٦٠).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: الشجاعة في الحرب ح رقم (٢٦٦٦).

قَالَ: أَتَىٰ رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَصَابَنِي الْجَهْدُ، فَأَرْسَلَ إِلَىٰ نِسَائِهِ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا رَجُلٌ يُضَيِّفُهُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ يَرْحَمُهُ اللهُ» فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: ضَيْفُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَدَّخِرِيهِ شَيْئًا، قَالَتْ: وَاللهِ مَا عِنْدِي إِلَّا قُوتُ الصِّبْيَةِ، قَالَ: فَإِذَا أَرَادَ الصِّبْيَةُ الْعَشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ، وَتَعَالَيْ فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ وَنَطْوِي بُطُونَنَا اللَّيْلَةَ فَفَعَلَتْ، ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «لَقَدْ عَجِبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ ضَحِكَ مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةَ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾»[١].

ومن هنا فقد جاء في الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَبْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ»[٢]، وفي رواية مسلم: «آيَةُ الْمُنَافِقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ وَآيَةُ الْمُؤْمِنِ حُبُّ الْأَنْصَارِ»[٣].

ج- في مروءةِ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في ماءِ مدين:

قال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، باب: سورة الحشر ح رقم (٤٦٠٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: عَلَامَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ، ح رقم (١٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: الدَّلِيلِ عَلَىٰ أَنَّ حُبَّ الْأَنْصَارِ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ وَعَلَامَاتِهِ وَبُغْضَهُمْ مِنْ عَلَامَاتِ النِّفَاقِ ح رقم (٢٢٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: الدليل علىٰ حب الأنصار وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ... ، ح رقم (١٢٨)..

إِلَيَّ مِنْ خَيْرٖ فَقِيرٞ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٣ - ٢٦].

* يستفادُ منها خُلُقٌ:

* المروءة: حيث سقىٰ لهما دون طلب أو أجرة.

* والرحمة: وهي التي دفعته إليهما رقة لحالهما.

* والفراسة: حيث تفرّس أمرهما بين الناس.

* والعفة: فهو في حالة من الجهد والجوع، لم يظهر حاجته لغير ربه فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾ أي: مفتقر للخير الذي تسوقه إلي وتيسره لي.

* والأمانة: وهذا ما شهدت به المرأة: ﴿إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾.

* والشجاعة: وهي التي جعلت الملأ يأتمرون به ليقتلوه.

* والتواضع: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾.

* والوفاء: وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾ [القصص: ٢٨].

يستفادُ منها عدةُ فوائدَ أخرى منها:

* تميزْ بأخلاقكِ ولو لم يلتزم بها غيرُ: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾، فهذه الأمةُ لبخلهمِ وقلةِ مروءتهم لم تهتم بهاتين المرأتين واهتم بهما موسىٰ عليه السلام.

* تميزْ بأخلاقكِ وإن لم يعرفْك أحد: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾، فهو غريبٌ غيرُ معروفٍ.

* تميزْ بأخلاقكِ وإن كنت في أشدِ الحاجة: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

* تميزْ بأخلاقكِ في جوارحك وكلماتك: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾.

* تميزْ بأخلاقكِ في مواضعِ الفتنِ، وعندما لا يكونُ هنالك رقيبٌ عليك إلا الله: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾.

النماذجُ الرابعة: في الشجاعةِ والثباتِ والصبر:

أ - شجاعةُ سحرةِ فرعون:

قال تعالىٰ: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً

مُوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِۗ وَٱللَّهُ خَيْرٞ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنٗا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: ٦٥ – ٧٦].

وتظهرُ هذه الشجاعة في عدة جوانب منها:

* إعلان إسلامهم أمام فرعون وملأه دون خوف وتردد، قال تعالىٰ: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾.

* عدم الخوف من التهديد العريض الذي وجهه لهم فرعون: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبْقَىٰ﴾.

* الرد عليه بصورة حاسمة ليس فيها مجال للتراجع: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾.

ب - ثباتُ المهاجرين والأنصارِ يوم بدر:

قال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، ثبتوا في مواجهة قريشٍ ومن معهم مع الفارقِ الكبيرِ في العَددِ والعُددِ، فقد استشارَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناسَ في يومِ بدر، فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأحسن، ثم قامَ عمرُ فقال فأحسن، ثم قامَ المقدادُ بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لما أمرت به، فنحن معك، وَاللهِ لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ وَلَكِنْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَنَكُونَنَّ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَعَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ، وَمِنْ خَلْفِكَ حَتَّىٰ يَفْتَحَ اللهُ، فوالذي بعثك بالحقِّ لو سرت بنا إلىٰ بَرْكِ الْغُمَادِ لجالدنا معك من دونهِ حتىٰ تبلغه، فقال له رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيرا ودعا له به، ثم قال: «أشيروا عليَّ أيها الناس» وإنما يريدُ الأنصار، وذلك أنهم عدد الناس، وكانوا حين بايعوه بالعقبةِ قالوا: يا رسولَ الله، إنا برآءُ من ذمامِك حتىٰ تصلَ إلىٰ دارِنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذممنا، نمنعُك مما نمنعُ منه أنفسنَا وأبناءَنا ونساءَنا، فكان رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتخوفُ أن لا تكونَ الأنصارُ ترىٰ أن عليها نصرتَه إلا بالمدينة، وأنه ليس عليهم أن يسيرَ بهم إلىٰ عدوٍ بغيرِ بلادِهم، فلما قال ذلك رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال سعدُ بن معاذ: والله لكأنك يا رسولَ اللهِ تريدُنا، قال: «أجل»، قال سعدُ بن معاذ: فقد آمنا بك وصدقنَاك، وشهدَنا أن ما جئت به حق، وأعطينَاك علىٰ ذلك عهودَنا ومواثيقَنا علىٰ السمعِ والطاعة، فامض يا رسولَ الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحقِّ لو استعرضت بنا هذا البحرَ لخضناه معك، ما تخلفَ منا واحد، وما نكرَه أن

نلقىٰ عدونا غدا، إنا لصبرٌ عند الحرب، صدقٌ عند اللقاء، ولعلَّ اللهَ يريك منا ما تقرُ به عينُك، فسر بنا علىٰ بركةِ الله، فسرَّ بذلك رسولُ الله ﷺ، ثم قال رسول الله ﷺ: «سيروا وأبشروا، فإن الله عز وجل قد وعدني إحدىٰ الطائفتين، والله لكأني أنظر الآن مصارع القوم»[(١)].

ولهذا جاء في مسند الإمام أحمد عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُاللهِ بْنُ مَسْعُودٍ لَقَدْ شَهِدْتُ مِنْ الْمِقْدَادِ مَشْهَدًا لَأَنْ أَكُونَ أَنَا صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عَلَىٰ الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، قَالَ أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ وَكَانَ رَجُلًا فَارِسًا قَالَ فَقَالَ: أَبْشِرْ يَا نَبِيَّ اللهِ وَاللهِ لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَىٰ عليه السلام: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾، وَلَكِنْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَنَكُونَنَّ بَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ وَمِنْ خَلْفِكَ حَتَّىٰ يَفْتَحَ اللهُ عَلَيْكَ»[(٢)].

ج- صبر أيوب عليه السلام:

قال تعالىٰ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَـٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣ - ٨٤] وقصته عليه السلام مشهورة معروفة، الدروس فيها كثيرة منها:

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرىٰ ح رقم (٨٣٤٨)، وأحمد في المسند ح رقم (٣٦٩٨)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ ح رقم (٢٠٧٩٨)، والحاكم في المستدرك ح رقم (٣٤٩)، وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي، وابن حبان في صحيحه بترتيب ابن بلبان ح رقم (٤٧٢١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٣٤٠).

(٢) أخرجه أحمد في المسند، ح رقم (٣٩٠)، وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند، ح رقم (٤٣٧٦).

* هو مع شدة الابتلاء؛ المرض لم يفقد رجاءه في الله، بل يلتجأ إلىٰ الله تعالىٰ ويصفه بأعظم صفات الرحمة: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

* لم ينظر إلىٰ أن ما أصابه عظيم مع أنه عظيم في نفسه وماله وأهله وولده.

* نسب ما أصابه للشيطان، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١].

النماذج الخامسة: صورٌ متعددةٌ في الارتقاءِ الأخلاقي:

١. نموذجٌ في كتمِ السر: فقد جاء في صحيح البخاري عن سَالِم بْن عَبْدِ اللهِ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يُحَدِّثُ «أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا تُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ فَقُلْتُ إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، قَالَ سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لَا أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا، قَالَ عُمَرُ فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّي عَلَىٰ عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ، قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ إِلَّا أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ ذَكَرَهَا فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَوْ تَرَكَهَا لَقَبِلْتُهَا»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المغازي، باب: شهود الملائكة بدرا، ح رقم (٣٧٨٣).

٢. نموذجٌ في التجاوزِ عن المُعسِر: فقد جاء في صحيح البخاري عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ فَإِذَا رَأَىٰ مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا فَتَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُ»[1].

٣. نموذجٌ في الإعطاءِ لوجه الله جل وعلا: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٧ – ٢١].

٤. نموذجٌ في الإحسان لمن أساء إليك: فقد جاء في صحيحِ البخاري عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: «فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ بَرَاءَتِي قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَىٰ مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ: وَاللهِ لَا أُنْفِقُ عَلَىٰ مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٢٢]، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَىٰ وَاللهِ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي فَرَجَعَ إِلَىٰ مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللهِ لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا»[2].

وقد جاء في حديث معاذ بنِ أنس الجُهَني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أفضلُ الفضائلِ أنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَك، وتُعطي من حَرَمك، وتصفحَ عمَّن شَتَمَكَ». وخرَّج الحاكم من حديث عُقبة بن عامر الجهني، قال: قال لي رسولُ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: البيوع، باب: مَنْ أَنْظَرَ مُوسِرًا، ح رقم (٢٠٧٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الشهادات، باب: تعديل النساء بعضهن بعضا، ح رقم (٢٥١٨).

الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا عقبةُ ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟ تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ، وتُعطِي مَنْ حَرَمَك، وتَعْفُو عَمَّن ظَلَمك» (١).

٥. نموذجٌ في السماحةِ في معاملةِ الزوجة: فقد جاء في صحيح مسلم عَنْ جَابِرِ ابْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فِي حَجَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهَلَّتْ بِعُمْرَةٍ. وَسَاقَ الْحَدِيث بِمَعْنَىٰ حَدِيثِ اللَّيْث وَزَادَ فِي الْحَدِيثِ قَالَ: «وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلاً سَهْلاً إِذَا هَوِيَتِ الشَّيْءَ تَابَعَهَا عَلَيْهِ، فَأَرْسَلَهَا مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ فَأَهَلَّتْ بِعُمْرَةٍ مِنَ التَّنْعِيمِ. قَالَ مَطَرٌ قَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ فَكَانَتْ عَائِشَةُ إِذَا حَجَّتْ صَنَعَتْ كَمَا صَنَعَتْ مَعَ نَبِيِّ اللهِ» صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢).

وجاء في صحيح البخاري عَنْ الْأَسْوَدِ قَالَ: «سَأَلْتُ عَائِشَةَ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ قَالَتْ: كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ»(٣).

٦. نموذجٌ في العدلِ مع الأعداء: قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا

---

(١) أخرجه: أحمد في المسند ح رقم (١٧٤٨٨)، والحاكم في المستدرك ح رقم (٧٢٨٥)، والبيهقي في الشعب ح رقم (٧٩٥٩)، والطبراني في الأوسط ح رقم (٧٣٩)، وهو حديث قويٌّ بطرقه، ينظر: أنيس الساري في تخريج أحاديث فتح الباري، ح رقم (١٦١١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الحج، باب: بَيَانِ وُجُوهِ الإِحْرَامِ وَأَنَّهُ يَجُوزُ إِفْرَادُ الْحَجِّ وَالتَّمَتُّعِ وَالْقِرَانِ وَجَوَازِ إِدْخَالِ الْحَجِّ عَلَى الْعُمْرَةِ وَمَتَىٰ يَحِلُّ الْقَارِنُ مِنْ نُسُكِهِ، ح رقم (٢٩٩٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجماعة والإمامة، باب: من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج، ح رقم(٦٤٤).

﴿تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [المائدة:٨].

عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَاتَلَ أَهْلَ خَيْبَرَ حَتَّىٰ أَلْجَأَهُمْ إِلَىٰ قَصْرِهِمْ فَغَلَبَ عَلَىٰ الأَرْضِ وَالزَّرْعِ وَالنَّخْلِ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ دَعْنَا نَكُونُ فِي هَذِهِ الأَرْضِ نُصْلِحُهَا وَنَقُومُ عَلَيْهَا وَلَمْ يَكُنْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَلاَ لأَصْحَابِهِ غِلْمَانٌ يَقُومُونَ عَلَيْهَا فَأَعْطَاهُمْ خَيْبَرَ عَلَىٰ أَنَّ لَهُمُ الشَّطْرُ مِنْ كُلِّ زَرْعٍ وَنَخْلٍ وَشَيْءٍ مَا بَدَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَأْتِيهِمْ فِي كُلِّ عَامٍ فَيَخْرُصُهَا عَلَيْهِمْ ثُمَّ يُضَمِّنُهُمُ الشَّطْرَ فَشَكَوْا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي عَامٍ شِدَّةَ خَرْصِهِ وَأَرَادُوا أَنْ يَرْشُوهُ فَقَالَ: يَا أَعْدَاءَ اللهِ تُطْعِمُونِي السُّحْتَ، وَلَقَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَلأَنْتُمْ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ عِدَّتِكُمْ مِنَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، وَلاَ يَحْمِلُنِي بُغْضِىٰ إِيَّاكُمْ وَحُبِّىٰ إِيَّاهُ عَلَىٰ أَنْ لاَ أَعْدِلَ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: بِهَذَا قَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ»[١].

٧. نموذجٌ في الترفقِ عن الجاهل: فقد جاء في صحيح البخاري عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَىٰ بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»[٢].

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ ح رقم (٨٣٠)، وأحمد في المسند (١٤٩٥٣)، البيهقي في السنن الكبرىٰ ح رقم (٧٦٨٨)، والطبراني في المعجم الأوسط ح رقم (٣٠٤)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي علىٰ شرط مسلم، في تحقيقه للمسند برقم (١٤٩٥٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: الوضوء، باب: صب الماء علىٰ البول في المسجد، ح رقم (٢١٧).

وقد جاء في صحيح البخاري عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَىٰ ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنْ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ الْحُرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيْ يَا بْنَ الْخَطَّابِ، فَوَاللهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّىٰ هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾، وَإِنَّ هَذَا مِنْ الْجَاهِلِينَ، وَاللهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ»[1].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، باب: سورة الأعراف، ح رقم (٤٣٦٦).



المبحث الرابع
ثمرات بناء الأخلاق الحسنة للفرد والمجتمع

المطلب الأول: ثمراتُ حسنِ الخلقِ للفرد:

لبناء الأخلاقِ الحسنةِ ثمرات كثيرة منها:

١- أمنُ الخُلُقِ منه: في أموالِهم وأعراضِهم ودمائِهم، وقد جاء في صحيح مسلم عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِى حَبِيبٍ عَنْ أَبِى الْخَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: إِنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[١].

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: «الْحَسَنُ الْخُلُقِ مَنْ نَفْسُهُ فِي رَاحَةٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي سَلاَمَةٍ، وَالسَّيِّئُ الْخُلُقِ النَّاسُ مِنْهُ فِي بَلاَءٍ، وَهُوَ مِنْ نَفْسِهِ فِي عَنَاءٍ»[٢].

٢- محبَّةُ الخَلْقِ له: لأن حسنَ الخُلُقِ يوجبُ محبةَ الخَلْقِ له، وسوءُ الخُلُقِ يؤدي لبغضِ الخَلْقِ له، فَإِذَا حَسُنَتْ أَخْلاَقُ الانْسَانِ كَثُرَ مُصَافُوهُ، وَقَلَّ مُعَادُوهُ، فتَسَهَّلَتْ عَلَيْهِ الامُورُ الصِّعَابُ، وَلاَنَتْ لَهُ الْقُلُوبُ الْغِضَابُ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «حُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجوَارِ يُعَمِّرَانِ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، ح رقم(٩).

(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي (ص: ٢٦٥).

الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الأعْمَارِ»(١)، وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «مِنْ سَعَةِ الأَخْلَاقِ كُنُوزُ الأَرْزَاقِ، وَسَبَبُ ذَلِكَ مَا ذَكَرْنَا مِنْ كَثْرَةِ الأَصْفِيَاءِ الْمُسْعِدِينَ، وَقِلَّةِ الأَعْدَاءِ الْمُجْحِفِينَ، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَحَبُّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا، الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ»(٢)، وَحُسْنُ الْخُلُقِ أَنْ يَكُونَ سَهْلَ الْعَرِيكَةِ، لَيِّنَ الْجَانِبِ، طَلِيقَ الْوَجْهِ، قَلِيلَ النُّفُورِ، طَيِّبَ الْكَلِمَةِ». وَقَدْ بَيَّنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الأَوْصَافَ فَقَالَ: «أَهْلُ الْجَنَّةِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ طَلْقٍ» (٣).

٣- سعادةُ الخَلْقِ به: من حَسُنَ خُلُقُه جعلَ حياتَه في إسعادِ غيرِه، وكان كالغيثِ أينما حلَّ نفعَ، باذلاً للخيرِ، كافـًا عن الشر، فقد جاء عن عائشةَ أنها كانت تقولُ: «إن خلالَ المكارمِ عشرَ تكون في الرجلِ ولا تكون في ابنه، وتكونُ في العبدِ ولا تكون في سيده، يقسمُها الله لمن أحب: صدقُ الحديث، وصدقُ البأس، وإعطاءُ السائل، والمكافأةُ بالصنائع، وصلةُ الرحم، وحفظُ الأمانة، والتذممُ(٤) للجار، وقرىٰ الضيف، ورأسهن الحياء» (٥)، فهي كلها صفاتٌ تسعدُ الغيرَ.

---

(١) تقدم تخريجه (ص: ٢٧).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ح رقم (٧٩٨٣)، والطبراني في المعجم الأوسط ح رقم (٣٥٧)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع (١/ ١٠٩).

(٣) أدب الدنيا والدين للماوردي (ص: ٢٦٥).

(٤) التذمم للصاحب هو: أن يحفظ ذمامه، ويطرح عن نفسه ذم الناس له. تاج العروس (ص: ٧٧٢٢).

(٥) مكارم الأخلاق ومعاليها للخرائطي (١/ ٢).

٤- حسنُ الذِّكر: فحسنُ الخلقِ سببٌ عظيمٌ في رفعةِ الإنسانِ علىٰ أقرانهِ وغيرهم، لذا كان من أعظمَ ما يرفعُ به العبد، ومن أعظمَ ما تهان به النفوسُ وتداسُ به سوءُ الخُلُق، ولهذا قال تعالىٰ لسيدِ المتخلقين بالخُلُقِ الحسن: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ [الشرح: ٤]، ولهذا قال الشاعر:

والمرءُ بالأخلاقِ يسمو ذكْرُهُ   وبها يُفضلُ في الورىٰ ويوقّـرُ

٥- الرضا والطمأنينة: من أعظم ثمرات الأخلاق تحقيق الرضا النفسي والطمأنينة في الحياة، لأن النفس المتوجهة نحو الخير، الباذلة للمعروف، الكافة عن الأذىٰ هي نفس مستقرة مطمئنة بالله وبما تقوم به، قد ظفرت بمطلبها وفازت بما فيه نجاتها وسعاداتها، وحققت بما يكون به كرامتها وعزتها، قد بعدت عن ما يشينها وينقصها.

٦- نيلُ عظيمِ الثوابِ في الآخرةِ:

من أعظمِ الفوائد عفو اللهُ عنك، وحبُّه لك، ورفعُه لدرجاتك، قال تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

المطلب الثاني: ثمراتُ حسنِ الخلقِ للمجتمع:

لتحققِ حسنِ الخُلُقِ في المجتمعِ ثمراتٍ متعددة منها:

الأمنُ والأمان:

حسنُ الخُلُقِ هو الأخذُ بكلِّ أسبابِ الأمنِ في المجتمع واستقرارِه من: إقامةِ العدل ومحاربةِ الظلم، وأداء الأمانةِ، ومحاربةِ الخيانة، وحفظ الأموال والأعراض والدماء، ومحاربةِ كلِّ صورِ الفساد، والعملِ بكلِّ ما يدعمُ الثقةَ بين أفرادِ المجتمع، وقد جاء في الصحيحين عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ» (١).

الإلفةُ والمحبةُ بين الناس:

من مقاصدِ حسنِ الخُلُقِ اجتماعُ القلوب، فهو من أعظمِ أسبابِ الإلفةِ والمحبةِ بين الناس، فالكلمةُ الطيبة، والابتسامةُ الصادقة، وسلامةُ الصدر، وجميلُ الفعلِ من أعظمِ أسباب التآلفِ بين أفراد المجتمع، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء:٥٣]، وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إنكم لن تسَعُوا الناسَ بأموالكم، ولكن تسعونهم بأخلاقكم» (٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: إثم من لا يأمن جاره بوائقه، ح رقم (٦٠١٦).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ح رقم ٢٥٣٣٣، والبزار في مسند ح رقم ٨٥٤٤، وأبو يعلىٰ: في مسنده ٦٥٥٠، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧/ ٤٤): رواه أبو يعلي والبزار وزاد: وحسن الخُلُق، وفيه عبد الله بن سعيد المقبري وهو ضعيف.

إنهاءُ العداوة والبغضاء:

حسنُ الخُلُقِ يحثُ علىٰ: العفوِ، والتسامحِ بين الناس، وإصلاحِ ذات البين، ونبذِ الفُرقة والخلافِ وما يمزقُ المجتمعَ، فما حفظت المجتمعات من العداواتِ والبغضاءِ بمثلِ مكارم الأخلاق التي تجعلُ المجتمعَ جسداً واحداً. فقد جاء في صحيح مسلم عَنْ أَبِىٰ هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَنَاجَشُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ. التَّقْوَىٰ هَا هُنَا». وَيُشِيرُ إِلَىٰ صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»[1].

سيادةُ التعاونِ والتكافل:

الخُلُقُ الكريمُ يدعو للتعاونِ علىٰ البرِ والتقوىٰ، ورعايةِ اليتيم، وإطعامِ الفقير، وإرشاد الضال، وإغاثة الملهوف، والسعي لقضاء حاجات الناس، وبذل كل معروف، والتواصي بكل مرحمة.

قوة المجتمع:

الأخلاق الفاضلة من أعظم أسباب قوة المجتمع وتماسكه لتحقيق رسالته التي عنوانها الخير والهدىٰ والفضيلة للناس، لأن الأخلاق السيئة،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: مَا يُنْهَىٰ عَنْ التَّحَاسُدِ وَالتَّدَابُرِ وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾، ح رقم (٦٠٦٤)، ومسلم في صحيحه كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ وَعِرْضِهِ وَمَالِهِ ح رقم (٦٧٠٦).

والصفات الرذيلة من أعظم أسباب هدم المجتمعات وزوالها، قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦].

النهوضُ والرقي والازدهار:

مكارمُ الأخلاقِ هي الأسسُ التي يقومُ عليها المجتمعُ الذي تنشدُه الإنسانية، فالمجتمعُ الذي يعيشُ أفرادُه كجسدٍ واحدٍ يحبُّ الفرد لأخيهِ ما يحبُّ لنفسه، ويسعىٰ لإسعادِ غيره كما يسعىٰ لإسعادِ نفسه، ويرعىٰ حقوقَ الغير كما يرعىٰ حقوقَ نفسه، ويراعي مشاعرَهم كما يراعي مشاعرَه، يعلمُ بأنه معهم في سفينةٍ واحدةٍ لا نجاةَ له دونهم، فما يضرُهم يضرَه، وما يسعدُهم يسعدَه.





الخاتمة

بعد هذه السياحة الممتعة في عالم مكارم الأخلاق، وجميل الصفات، نصل لختام هذه الدراسة التي حاولت أن أجمع فيها خلاصات مهمة في هذا الباب العظيم من أبواب الإسلام، نخلص منها لأبرز النتائج الآتية:

أولاً: الأخلاق في اللغة تأتي بمعنىٰ السَّجيَّةُ، والمُرُوءةُ، والدِّينُ، وفي الاصطلاح: «عبارةٌ عن هيئةٍ في النفسِ راسخةٍ تصدُرُ عنها الأفعالُ بسهولةٍ ويُسرٍ، من غيرِ حاجةٍ إلىٰ فكرٍ ولا رويَّة»، وهنالك فرق بين الخُلُق والتخلُّق؛ إذ التخلُّق هو التكلُّفُ والتصنُّعُ، وهو لا يدومُ طويلاً، خلاف الخُلُق.

ثانيًا: مكانة الأخلاق في الإسلام كبيرة، ويكفي في إدراك ذلك كثرةُ الأدلةِ التي جاءت تحثُّ علىٰ مكارمِ الأخلاق في الكتاب والسنة، وأن حسن الخُلُقِ هدي الأنبياءِ والمرسلين، وأولياء الصالحين، وهو دليلُ خيريةٍ وكمالُ إيمان، و به تُنالُ محبةُ اللهِ تعالىٰ، وهو أثقلُ ما يُوضَعُ في الميزانِ يوم القيامة، وهو من أكثرِ ما يدخلُ الجنة، ويُبلغُ لأعظمِ درجاتها وغيرها.

ثالثًا: المصادرُ التي تُستَقىٰ منها الأخلاقُ الإسلاميةُ أربعة هي: القرآنُ الكريم، والسنةُ النبويةُ، وسيرُ الأنبياءِ والصالحين، والأعرافُ المستقيمة.

رابعًا: والأخلاق تنقسم من حيث العموم إلىٰ: حسنة وسيئة، ومن حيثُ مصدرِها إلىٰ: الأخلاقُ الجِبِليَّة، والمكتسبة، ومن حيث نفعها وتعديها

إلىٰ: فردية وجماعية.

خامسًا: من أبرز الوسائل والوسائط المؤثرة في بناء الأخلاق: الأسرة، والمدرسة، ودور العبادة، والبيئة الاجتماعية، والوسائل الإعلامية، ووسائل التواصل الاجتماعي.

سادسًا: مجالات الأخلاق كثيرة تستوعب كل صور الحياة الفردية والجماعية، ومن ذلك المجال الأسري، والسياسي، والاقتصادي، والصناعي والحرفي، والمهني، والدعوي والتعليمي وغيرها.

سابعًا: الطرق المعينة علىٰ اكتساب الأخلاق كثيرة منها: الإيمانُ الصحيح، والتعليم، والدعاءُ، والاقتداءُ بخيارِ الخَلْق، ومعرفةُ فوائدِ حسن الخُلُق، ومعرفةُ عواقبِ سوءِ الخُلق، وتقويمُ النفسِ في بابِ الأخلاق وغيرها مما ذكرنا.

ثامنًا: هنالك معوقات كثيرة في بناء الأخلاق منها: ضعفُ الإيمانِ وخللُ الاعتقاد، والجهل، والبيئةُ المنحرفةُ، وحبُّ الدنيا، والتشبه باليهودِ والنصارىٰ، وأصدقاءُ السوء، واتباعُ الهوىٰ، وغيرها مما ذكرنا.

تاسعًا: النماذج التطبيقية المشرقة في الأخلاق في القرآن والسنة كثيرة جداً، وقد تجد في النموذج الواحد عشرات الأمثلة التطبيقية في القيم والأخلاق كما في قصة عيسىٰ ومريم، ويوسف وغيرها.

عاشراً: ثمرات وفوائد الأخلاق علىٰ الفرد والمجتمع كثيرة، فمن ثمرات الأخلاق علىٰ الفرد: أمنُ الخَلْقِ منه، ومحبَّةُ الخَلْقِ له، وسعادةُ الخَلْقِ

به، وحسنُ ذكرِه، والرضا والطمأنينة، ونيلُ عظيمِ الثوابِ في الآخرةِ. وأما ثمرات الأخلاق الفاضلة علىٰ المجتمع كثيرة منها: الأمنُ والأمان، والإلفةُ والمحبةُ بين الناس، وإنهاءُ العداوة والبغضاء، وسيادةُ التعاونِ والتكافل، وقوة المجتمع، والنهوضُ والرقي والازدهار



تمت والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

ببلد الله الحرام مكة، وبجوار بيته العتيق، في يوم ٢٧ رمضان عام ١٤٣٧هـ





فهرس الموضوعات


مؤسسة النبأ العظيم


alnpaa.com
+ 966 550427304
alnpaa@gmail.com